

كيفَ يَبيّنُ طالبُ العِلمِ مَكتَبَتَهُ

الشيخ عبد الكريم الخضير

[/http://www.saaid.net](http://www.saaid.net)

الحلقة الأولى

قال السائل : أرى انه من المهم أن نبدأ بمقدمة حول هذا الموضوع نتحدث فيها عن بداية التدوين والتصنيف متى بدأ هذا الأمر ؟

قال الشيخ : الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين , ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد , فالمقصود بالتصنيف والمصنفات والكتب والمكتبات سوى القرآن الكريم المحفوظ من التبديل والتغيير الذي أنزله الله على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام وتكفل بحفظه فنحن لسنا بصدد الحديث عن القرآن وكيفية نزوله وكتابه في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وفي عهد أبي بكر وفي عهد عثمان والحاجة الداعية إلى ذلك. إنما المقصود بالحديث ما سوى القرآن .

ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : " لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن ومن كتب شيئاً غير القرآن فليمحه " . جاء النهي عن الكتابة في عهد النبي عليه الصلاة والسلام في أول الأمر خشية أن يعتمد الناس عليها وينسوا الحفظ الذي هو أولى ما ينبغي أن يهتم به طالب العلم , أو أهم المهمات فيما يعتني به طالب العلم , فإذا اعتمد على الكتابة نسي الحفظ وضعف الحفظ . ومن أهل العلم من يرى أن النهي متجه إلى كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط القرآن بغيره , فلما دون القرآن وكتب في الصحف وأمن ذلك وزال خشية اللبس أذن في الكتابة إذنا عاما . ثبت أيضا في الحديث الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام أمر بالكتابة " اكتبوا لأبي شاه " وقال أبو هريرة رضي الله عنه " ما كان أحد أكثر مني حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب " . ولعل هذا على حسب وهمه رضي الله عنه وأرضاه وأنه كان

يتوقع أن عبد الله بن عمرو أكثر منه لأن المكتوب الذي يرى ليس كالمحفوظ فالمحفوظ موجود في الأذهان , لاوجود له في الأعيان فلا يمكن بيان حجمه ما دام موجود في الأذهان , أو كانت مقولة أبي هريرة رضي الله عنه قبل الدعوة النبوية لما طلب منه أن يبسط رداءه فبسطه ثم ضمه بعد أن دعا له النبي عليه الصلاة والسلام لم ينس شيئاً قط وصار بذلك أحفظ الصحابة وأجمع الصحابة حفظاً وأكثرهم رواية ولا يقاربه ولا يدانيه أحد منهم ولجمعه هذا الكم الهائل من السنة وهو صحابي جليل دعا النبي عليه الصلاة والسلام أن يحبه إلى الناس وأن يحب الناس إليه , ولذا لا يبغضه إلا منافق نسأل الله السلامة والعافية , ولا يطعن فيه وفي حفظه وعلمه إلا من يطعن في الدين , وفي السنة على وجه الخصوص , لأننا لم نرأحداً طعن في المقلين من صحابة النبي عليه الصلاة والسلام لأن الطعن في المقل الذي لا يروي إلا حديثاً أو حديثين هذا ليس له من الأثر ما لأثر الطعن في المكثري فنسف قدر أبي هريرة نسف لقدر كبير من السنة و من ثم الدين , " فأبيض بن حمال " الذي لا يروي إلا حديثاً واحداً لم نجد أحداً يطعن فيه . إذ تتبع مثل هؤلاء متعب . بينما الطعن في واحد يحمل السنة أو جل السنة يريح الخصم . والله المستعان. المقصود أن الكتابة أذن فيها بعد المنع , وأجمع العلماء على جوازها , ولا شك أن للكتابة أثر في الحفظ , فالإنسان الذي يعتمد على الحفظ دون الكتابة تستمر حافظته قوية ويستذكر متى شاء والناس يتفاوتون في هذا الباب , لما أذن في الكتابة صار الناس يكتبون كتابات فردية في المائة الأولى ثم لما جاء عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الثانية أمر بن شهاب الزهري بتدوين السنة وهنا جاء التدوين الرسمي للسنة . فصنفت المصنفات في السنة ثم أخذت تزيد قليلاً قليلاً حتى جمع ما في الصدور مما تفرق في البلدان فصارت المؤلفات هذا بالنسبة للسنة.

السائل : ما كتب عن الصحابة كانت كتابات فردية ؟

الشيخ : ما كتب عن الصحابة كانت كتابات فردية كل يكتب لنفسه ثم بعد ذلك أمر عمر بن عبد العزيز محمدا بن مسلم بن شهاب الزهري بالكتابة الرسمية ثم تتابع الناس في التأليف والتصنيف فألفت المصنفات والموطآت والمسانيد والجوامع والسنن وغيرها من فنون الحديث الشريف هذا بالنسبة لعلم الحديث . علم اللغة بعد أن فتحت البلدان واختلط العرب بغيرهم وخيف على اللغة , بل وجدت مظاهر اللحن , احتيج إلى التدوين في اللغة . العلوم الأخرى سبب التدوين فيها الحاجة الماسة إليها ثم بعد أن جمعت الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين ودون فقهاء الصحابة وفقهاء التابعين , بعد ذلك احتاجوا إلى مسائل وحوادث نازلة فاضطروا الناس إلى أن يقيسوا على ما جاء في الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة والتابعين وتوسعوا في هذا الباب فاحتيج إلى تدوين المسائل الفقهية في كتب الفقه على شتى المذاهب , المذاهب الأربعة المتبوعة وغيرها , ثم احتيج أيضا إلى علوم تخدم الكتاب والسنة وتخدم أيضا ما ثبت عن السلف في أبواب الدين . احتيج إلى ما يسمى بعلوم أصول الفقه ومصطلح الحديث وعلوم القرآن وغيرها من العلوم التي تخدم الأصليين الكتاب والسنة فدونت المصنفات وتشعبت وكثرت كثرة بحيث يستحيل الإحاطة بها وما من عالم إلا ولديه مكتبة وما من عالم إلا وله مصنفات إلا ما ندر إلا ما ضاع منه .

السائل : هذا بالنسبة لما يتعلق باللغة العربية وما بعدها ؟
الشيخ : نعم وما بعدها من العلوم , كل العلوم احتيج إليها , ألفت الكتب الاصطلاحية التي تعين على فهم الكتاب والسنة كما ذكرنا في علوم القرآن ومصطلح الحديث وأصول الفقه , وظهرت الفرق المخالفة للمنهج السليم الصافي المستمد من الكتاب والسنة ظهرت طوائف البدع بعد أن ترجمت الكتب فاحتيج إلى التصنيف في العقائد والرد على هؤلاء المخالفين .

مطبوعات يقتني الكتاب عشرة مجلدات عشرين مجلد في لحظة . أما مثل هذه الكتب متى تكتب ومتى تصح ومتى تقابل ومتى تجمع ؟

السائل : لكن يعرف مثلا أن هذه النسخة عند فلان في مكتبة فلان معروفة التاريخ وإذا أراد شخص أن يأخذ منها نسخة يأتي وينقلها نقلا أم ماذا ؟

الشيخ : إما أن يستعير ويأخذ منها ما يحتاج ويفيد منها . والمتقدمون أهل العناية بالكتب يشددون في مسألة الإعارة وممن قول أحدهم :

(ألا يا مستعير الكتب دعني فإن إعارتي للكتب عار)

وضاع كثير من الكتب وتشئت شمل كثير من الموسوعات بهذه الطريقة . نظير ما ذكرت من مكتبة خزنة الصاحب بن عباد والقاضي الفاضل ما يوجد عند أبي مطرف القاضي بقرطبة جمع من الكتب في أنواع العلم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره في الأندلس وكان عنده ستة وراقين ينسخون له باستمرار بمثابة مطابع عنده ستة أشخاص ينسخون وهذا كله لمكتبته فهو مثلا يجد كتاباً عند فلان أو في المكتبة الفلانية فيحضره للوراقين بإعارة أو بإجارة فينسخون له نسخة من هذا الكتاب إما أنهم يقتسمون الأجزاء أو كل واحد ينسخ له كتاباً معين .

أقول لا يخلو عالم أو طالب علم من مكتبة لأنه لا يمكن أن يستغنى عن الكتب , حتى زاد هذا الاهتمام ووصل إلى حد التكاثر والتفاخر . في " نفح الطيب " للمقري في وصف قرطبة قال : وهي أكثر بلاد الأندلس كتباً وأشد الناس اعتناءً بخزائن الكتب . صار ذلك عندهم من آلات التعيين والرئاسة حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة , يحتفل ويهتم أن يكون في بيته خزانة كتب . وقد يكون لا يقرأ ولا يكتب وينتخب فيها ليس إلا أن يقال فلان عنده خزانة كتب , الكتاب الفلاني لا يوجد إلا عند فلان لا يوجد عند غيره فصارت المسألة تفاهراً وتكبراً .

السائل : حتى هذا وجد في هذا العصر فأحياناً بعض عليه

القوم تجده يهتم بوجود مكتبة نادرة من أجل هذا .
الشيخ : لا شك في ذلك , وأعظم من ذلك وُجد تحف
على هيئة كتب تصف في خزائن بحيث يظن أنها كتب , فأين
النيئات واللله المسـتـعان ؟
في " نفح الطيب " نقل : قال الحضرمي : أقمت بقرطبة
ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيه وقوع كتاب لي بطلبه
اعتناء إلى أن وقع وهو بخط فصيح وتفسير مليح ففرحت به
أشد الفرح فجعلت أزيد في ثمنه فيرجع إليّ المنادي
بالزيادة عليّ إلى أن بلغ فوق حده فقلت له يا هذا أرني من
يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه ما لا يساوي . قال : فأراني
شخصاً عليه لباس الرئاسة فدنوت منه وقلت له أعز الله
سيدنا الفقيه إذا كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك
فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده فقال لي لست بفقيه ولا
أدري ما فيه ولكني أقمت خزانة كتب واحتفلت بها لأتجمل
بها بين أعيان البلد وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب فلما
رأيت حسن الخط وجودت التجليد استحسنته ولم أبال بما
أزيد فيه والحمد لله على ما انعم به من الرزق فهو كثير .
قال الحضرمي : فأخرجني وحملني إلى أن قلت له :
نعم لا يكون الرزق كثيراً إلا عند مثلك يُعطي الجوز من لا
له أسنان و أنا الذي أعلم ما في الكتاب وأطلب الانتفاع
به يكون رزقي قليلاً وتحول فقلت ما بيدي بيني وبينه " أهـ
. على كل حال الاعتراض على القدر مذموم يعني كون
الإنسان يُزاد في رزقه أو يضيق عليه هذا قدر الله . فكل
إنسان مكتوب له رزقه وأجله وليس لإنسان أن يعترض
وليس بسط الرزق خير على كل حال وليس ضيق اليد شر
محض على كل حال واللله المستعان .
إذا وصل جمع الكتب والعناية بها إلى هذا الحد صارت
ممن يلهي ويشغل عن تحصيل العلم والعمل الصالح فيدخل
دخولاً أولياً في قول الله جل وعلا : " أهاكم التكاثر " لأنه
مجرد تكاثر هذا وجد في المتقدمين والمتأخرين .
السائل : هذا يا شيخ ما كنت سأسأل عنه لأن بعضهم

يتفاخر بأنه وجد عنده مثلاً أوائل النسخ من هذا الكتاب .
فهل لهذا من رددود ؟

الشيخ : أنا بلغني أن بعض الكتب التي يطبع منها أربع نسخ و خمس نسخ تودع في البنوك خشية أن يُسطا عليها . هل هذا مما يوصل إلى مرضاة الله عز وجل ؟ يكون العلم المطلوب الشرعي ميسر ولله الحمد بدأ من القرآن " ولقد يسرنا القرآن للذكر " تجد أرخص الكتب في المكتبات القرآن كقيمة شرائية لا أعني القيمة الأخرى , فلا يوجد كتاب متعبد بتلاوته سوى القرآن لكن القيمة الشرائية , تجد أحوج الناس أو أشد الناس حاجة إلى كتاب تجده أرخص ما يباع وهذا من السنن الإلهية. يعني أحوج ما يكون الناس إلى شيء تجده أرخص شيء . يعني مثلاً ما يحتاجه الناس في مطاعمهم في الأكل والشرب تجده أرخص شيء ثم بعد ذلك الترف . الكماليات أغلى ثم يأتي ما يزيد عليها من أمور السرف أغلى وأغلى .

قس على هذا الكتب بالنسبة للقيمة الشرائية أرخص ما يوجد مثلاً القرآن والبخاري ومسلم ورياض الصالحين والأذكار والكتب التي يحتاجها عامة المسلمين تجدها رخيصة ولله الحمد لكن تأتي إلى كتب الناس ليسوا بحاجة إليها . السائل : نسمع أن بعض الكتب تصل قيمتها 50.000 أو 60.000 ريالاً .

الشيخ : نعم القانون لابن سينا بيع بـ 90.000 لأنه طبعة أوربية نادرة وهذا الكتاب وهو القانون لابن سينا تدري أن النووي أدخله في مكتبته فصعب عليه الحفظ حتى أخرجه من مكتبته. أغلى ما يوجد الآن كتب الذكريات , كتب الرحلات . فهل المسلم بحاجة إلى هذه ؟ نعم من حيث العبرة , المتعة , الاستجمام يحتاج إلى مثل هذه الأمور لكن أن تصل إلى هذا الحد هذا مبالغة يدخل في حيز السرف . لكن لو احتاج الإنسان إلى صحيح البخاري ولم يجد نسخة إلا بثمن مرتفع نقول (لاسرف في الخير) . على كل حال لو وصل الحد في الجمع أو وصل الجمع

والنهم في الكتب إلى هذا الحد صار عائقاً عن التحصيل ولا يعرف هذا إلا من جَرَّب . تحتاج الكتاب وعندك منه عشر نسخ يغطى بعضها على بعض ويصد بعضها عن بعض قد لا تحصل ولا على نسخة . يقول ابن خلدون : (كثرة التصانيف مشغلة عن التحصيل) على الإنسان أن يكون متوسطاً في أموره كلها , ما يحتاجه من الكتب يقتنيه و ما ينفعه عند المراجعة يقتنيه . أما أن يجمع كل كتاب يسمع عنه يحتاجه أو لا يحتاجه ليقال أن عنده من كل كتاب نسخة مصيبة هذه !! .

إن الفائدة من جمع الكتب تحصيل العلم الشرعي , والعلم الشرعي من أمور الأخرى المحضة التي لا يجوز التشريك فيها فإذا دخلت النوايا مثل هذه المقاصد ليقال إن عند فلان مكتبة أو عنده أكبر مكتبة خاصة أو عنده أكبر مكتبة هذه حقيقة مرة وقدح ظاهر في الإخلاص وإن وجدت عند بعض المتعلمين نسأل الله السلامة والعافية

الحلقة الثانية

السائل : هل وُجدت مكتبات رسمية ؟

الشيخ : وُجدت مكتبات رسمية رعتها الدول الإسلامية . يعني في بغداد يوجد دور . في قرطبة وحدها أكثر من 70 مكتبة رسمية , وفي بغداد , في بلاد الحرمين في مصر وفي غيرها من بلدان المسلمين , في المغرب , في الشرق , في الهند وتكون مفتوحة طوال اليوم يستفيد منها الناس . على كل حال موجودة والحمد لله العناية بالكتب و توجد العناية الرسمية والشعبية للكتب إلى يومنا هذا . اليوم بعض المساجد فيها كتب مثل مكتبات متكاملة يستفيد منها طلاب العلم . الجامعات الآن ترعى مكتبات نادرة تضم شتى العلوم و المعارف . وأيضاً كذلك غير الجامعات , فالمكتبات العامة عندنا في هذه البلاد المباركة الشيء الكثير في بلاد الحرمين وفي نجد وفي الإحساء مكتبات عامرة . أيضاً مكتبات شعبية أسسها أفراد وهي مكتبات متكاملة فضلاً عن المكتبات الخاصة بدور العلماء وطلاب العلم .

السائل : عندما أشرتتم يا شيخ إلى مكتبات المساجد وهي خطوة مهمة بدأت تظهر بحمد الله يعني لا بد أن نشير إلى شيء من هذا مثل مكتبة جامع شيخ الإسلام ابن تيمية بالرياض باعتبارها مكتبة كبيرة ولها صيت قوي وتدعم من قبل وزارة الشؤون الإسلامية دعماً قوياً. بدأ عدد كبير من المساجد والجوامع يحتضون حذو هذه المكتبة التي أفادت طلبه العلم كـثيراً.

الشيخ : نعم , لاشك أن الرياض الآن صارت مترامية الأطراف ويصعب على طالب العلم الذي في الرياض أو في شرقها أن يرتاد المكتبات التي في وسط الرياض أو في شماله . فوجدت هذه الفكرة وسبق إليها إخواننا في جامع شيخ الإسلام في مكتبة ابن القيم وقد زرتها أكثر من مرة

وأطلعونا على شيء يَسُرُّ , من كثرة الرواد ومن المنتفعين بهذه المكتبة وهي تضم كتب كثيرة جدا , ولدينا فكرة إن شاء الله لإنشاء مكتبة أيضا في شرق الرياض تضاهيها إن شاء الله .

وبعد العصور المتقدمة والاعتماد على المخطوطات والكتب القلمية ظهرت الطباعة ولنستحب منع الكتابة في أول الأمر لأثر الكتابة على الحفظ . ظهرت الطباعة في أوروبا والأستانة ثم في سوريا وبيروت ثم في مصر وغيرها من بلدان المسلمين وخشي العلماء في هذه الحقبة على التحصيل العلمي من التأثير لسهولة الحصول على الكتب . لما كانت الخشية في أول الأمر من الكتابة في أنها تؤثر على الحفظ , الآن خشي من الطباعة أن تؤثر على التحصيل , كيف ؟ التجربة أثبتت أنه كلما سهل الحصول على الكتابة أو على المعلومة ضعفت الإفادة . هذا شيء مجرب . خشي العلماء على التحصيل من جراء الطباعة فأفتى علماء الأزهر بتحريم طباعة الكتب الشرعية . هذا أول ما بدأت الطباعة , أذنوا بطباعة كتب التاريخ والأدب واللغة وغيرها أما الكتب الشرعية فلا تجوز طباعتها . كان العالم أو طالب العلم في السابق إذا احتاج إلى كتاب اضطر إلى نسخه , ومعاناة الكتابة - وهذا شيء جربناه وجربه غيرنا - أفضل من القراءة مرارا . فأنت إذا احتجت إلى كتاب لا بد أن تكتب الكتاب أو تستعيره وتنسخه أو تستعيره وتقرأه وتدون ما يهملك منه . هل هذا مثل أن تذهب إلى مكتبة وتشترى كتاب وترصه مع إخوانه في الأدراج ؟ أنا أقول كتابة كتاب عن قراءته عشر مرات . لا أبالغ إذا قلت هذا .

السائل : هذا ممكن في الكتب الصغيرة اليسيرة . أو بعض الفوائد فهل يمكن مثلا " فتح الباري " يكتب يا شيخ ؟!
الشيخ : بعد الطباعة لا يمكن . لكن قبل الطباعة ممكن .

وقد كُتِبَ مرارا . وشخص ما أدركناه أدركنا أحد أولاده يقول إن أباه يكتب كل يوم نسخة من النونية . والنونية 5820 بيتا وكل نسخة بريال وهو يقتات من هذا النسخ . نعم إذا لم يكن لديه الأهلية للتحصيل مجرد وراق قد لا يستفيد. لكن إذا كان من أهل العلم ولديه أرضية ولديه أهلية للتحصيل واحتاج إلى هذا الكتاب لما فيه من علم ونسخه لا شك أن مثل هذا يقع مـوقعه في القلب .

بعد أن اضطر الناس إلى الإقرار بالواقع . الأمر الواقع الذي فرض نفسه من الطباعة . أفتى العلماء بجواز طباعة الكتب الشرعية وطبعت لكن أثرها على التحصيل ظاهر . لاشك أن الطباعة نعمة والحواسب الآلية - التي يأتي الحديث عنها - نعمة . لكن لا تكون على حساب التحصيل . يعني لا يعتمد الإنسان اعتماداً كلياً عليها ويقول أنا اقتنيت فتح الباري أو تفسير ابن كثير أو الطبري أو القرطبي ثم ماذا ؟ وبعض الطلبة عنده تفسير ابن كثير ولم يقرأه أبدا .

طبعت الكتب الشرعية وأجمع الناس على جوازها والإفادة منها وأثرها على التحصيل ظاهر . قد يقول قائل هي نعمة فلماذا تمنع؟ نقول هي تيسرت والحمد لله ونقر بأنها نعمة وكذلك الحواسب الآلية نعمة لكن نستفيد منها بقدر ما يعيننا على تحصيل العلم منها ولا نعتمد عليها اعتماداً كلياً .

بعد الطباعة وتجاوزنا مرحلة الطباعة واقتنى الناس الكتب ورصوها في الخزائن وبعض الناس اقتنى ألوف مؤلفة من الكتب ومات ولم يطلع على شيء منها إلا العناوين . يأتي ويرتبها وينظفها وهذا قبل هذا , وهذا بعد هذا . هذه العناية مفيدة في شيء واحد وهي أن السوس والأرضة تؤمن بإذن الله بسبب تقلبها يمينا وشمالاً من درج إلى درج لكن التحصيل أين ؟

قد يقول قائل إن معرفة الكتب ومعرفة الطباعات فن .

نقول فن لكن ليس فن غاية لكنه فن وسيلة إلى غيره .
جاءت الحواسب الآلية التي جمعت من العلوم والمعارف
على أقراص صغيرة ما لم يحلم به عالم أو متعلم , أشياء
مذهلة لا نبالغ إذا قلنا إن بعض العلماء من المتقدمين قبل
الطباعة مثل الحواسب في حفظهم يعنى من يحفظ
700.000 حديث . أكبر برنامج للسنّة فيه 523.000 حديث
يعنى رأس هذا الشيخ أحسن من هذا , وليس آلة جامدة
صماء إذا صحف الخبر ما خرج . يفيد يجمع طرق يقدم يؤخر
ويرتب ويستنبط ويعلم ويعمل . صار طالب العلم إذا احتاج
إلى أي معلومة في أي فن من الفنون بعد هذه الحواسب ما
عليه إلا أن يضغط زر يصل بواسطته إلى ما يريد بأسرع
وقت . وهذا أيضا على حساب التحصيل العلمي لأن العلم
متين لا يستطاع براحة الجسم كما قال يحيى بن أبي كثير .

يحيى بن أبي كثير كما ذكر الإمام مسلم في صحيحه أثناء
حديث المواقيت قال يحيى بن أبي كثير: " لا يستطاع العلم
براحة الجسم " لو كان العلم يستطاع براحة الجسم ما أدرك
الفقراء شيء ولصار الناس كلهم علماء . فالعلم لا يخفي ما
ورد فيه من النصوص تحت عليه وبيان منزلة أهل العلم
ورفعهم درجات . نعم كان الناس كلهم علماء إذا كان العلم
يستطاع براحة الجسم , لكن لا بد من معاناة لا بد من سهر
لا بد من عكوف على الكتب لا بد من مزاحمة الشيوخ
والزملاء .

السائل : لو أراد طالب علم أن يخرج حديثاً عن طريق
الحاسب الآلي يحصل على المعلومة بسرعة . ولو رجع إلى
الكتب تجد أنه يستفيد في طريق المرور على هذا الحديث
يستفيد مئات الفوائد من أن يصل إليه.

الشيخ : الآن يريد بحث مسألة في كتاب , فيقلب هذا
الكتاب فيقف على عشرات المسائل , كثير منها أهم من
مسألته التي يبحث عنها , لكن يضغط زر يطلب مسألة يجد

المسألة من أولها إلى آخرها بمصادرها ثم ماذا هل يحفظها طالب العلم بهذه الطريقة . لا يمكن . لأن الشيء الذي يأتي بسهولة لا يمكن أن يستوعب بسهولة أو يحفظ بسهولة بل يفتقد بسهولة .

يحيى بن أبي كثير لما قال لا يستطاع العلم براحة الجسم , لا شك من خلال معاصرة ومعايشة للعلم ولما رأى عليه شيوخه وزملاءه وأقرانه من معاناة . يتصور قبل وجود هذه النعم من الكهرباء التي لا يختلف فيها الليل عن النهار بالنسبة للضوء . فقد كانوا - أي القدماء - يكتبون على ضوء القمر . بهذا حصلوا العلم ونحن نريد الحاسب والشخص متلفف بغطائه على فراشه يضبط حاسبه ويتعلم أو جالس في ملحق أو استراحة مع زملاء يتبادلون الأحاديث وأطراف الأحاديث وعندهم أنهم يطلبون العلم . العلم لا بد له من معاناة . نعود إلى يحيى بن أبي كثير وإلى كلمته التي أودعها الإمام مسلم بين أحاديث المواقيت - مواقيت الصلاة , لماذا ؟ هذا مناسبتة أعجز الشراح أن يوجدوا مناسبة لكلام يحيى بن أبي كثير الذي أودعه الإمام مسلم في هذا المكان . الإمام مسلم أعجبه سياق هذه الأحاديث . المتون والأسانيد بهذه الطريقة فأراد أن ينبه بأنه لا يمكن أن يصل الإنسان إلى مثل هذه العلوم بهذه الطريقة بهذا السبب العجيب براحة الجسم فأتى بهذا بشعور أو من لا شعور . نعم هذه الوسائل نعم إن أستفيد بها وأستعين بها على الوجه المناسب ولم يعتمد عليها وإلا فهي عائق عن التحصيل . من وجوه الانتفاع بهذه الحواسيب : إذا ضاق الوقت على خطيب أو محاضر وأراد أن يتثبت من حديث أو أثر أو نقل أو غير ذلك بحيث لا يستطيع الرجوع إليه لضيق الوقت , فله ذلك يرجع إلى الحاسب . كذلك من أراد اختبار عمله بحيث بحث مسألة في جميع ما وقف عليه من كتب وجميع ما قيل فيها , وإن كان حديثاً . جمع جميع ما وقف عليه من الطرق ثم أراد أن يختبر عمله إن كان هناك زيادة . فهذه

الزيادة التي يأخذها من الحاسب تقع في قلبه موقع بحيث
تثبت مثل ما لو بحثها في كتاب , أما أن تكون هذه الآلات
وسائل للتحصيل ابتداء عوضاً عن القراءة والحفظ وحضور
الدروس ومجالس العلم فلا .

الحلقة الثالثة ...

اتصلنا بالهاتف :

من الشيخ يوسف الخلاوي :

السائل : أرجو أن تحدثونا عن الاستفادة لطلبة العلم عن طريق الإنترنت .

الشيخ يوسف الخلاوي : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أولا : أقدم شكري الجزيل على هذا البرنامج ثم على مثل هذه الموضوعات المهمة والقيمة . الحقيقة الاستفادة من التقنية الحديثة لبناء طالب العلم لابد أن نتنبه أنها تختلف كثيرا عن الاستفادة من هذه التقنية لمجرد الثقافة أو مطالعة الأخبار أو غير ذلك من مجالات الفوائد العلمية الأخرى . طالب العلم عنده معايير تختلف في معرفة هذه الكتب مثلا الجودة ونحو ذلك ولذلك للأسف الشديد مع ما يمكن أن يجنيه من فوائد عن طريق التقنية إلا أنها أضافت إلى هذه الفوائد جملة من المظاهر السيئة التي ينبغي أن نتنبه لها . لكنني الآن سأركز على شتى من الفوائد .

من هذه الفوائد معرفة الكتب الجديدة واقتنائها إذا كانت نسخا مصححة وهذا موجود الآن بفضل الله فيزداد يوماً بعد يوم بكثرة خاصة إذا كان طالب العلم فقيراً لا يستطيع أن يفتني كثيراً من الكتب الكبار فيمكن أن يجدها متاحة بشرط أن تكون هذه الإتاحة في مكان معروف في موقع معروف ، يشترط الشروط العلمية المعتبرة للتوثيق . هذه من أهم الفوائد . من الفوائد الأخرى المشاركة والتنادي للعمل الجماعي في كثير من الأعمال العلمية مثل البحث عن

النسخ الخطية أو اقتناء النسخ الصحيحة القديمة .

السائل : هذه تقومون بها يا شيخ في موقعكم تهتمون
بـ_____ هذا الجـ_____ انب ؟

الشيخ يوسف : الموقع حتى الآن مختص بالإعلان عن
الكتب الجديدة وتقديم قراءات علمية فيها . لكن هناك حاجة
ماسة للتخصص في مجال الأشياء القديمة مثل الكتب
القديمة ونحو ذلك .

السائل : هل نستطيع أن نقول أنه من خلال موقعكم مثلا
أنا نرصد مستوى الدخول على الكتب الشرعية أنه مستوى
عال أم لا نستطيع . هل عندكم مؤشريهما أكثر كتب
الحديث أم كتب الفقه ؟

الشيخ يوسف : نعم هناك مؤشرات وفي الغالب الكتب
الشرعية لها حضور قوي جدا بالإضافة إلى الكتب التي تهتم
بالوقائع المعاصرة لو أردنا نقارن نجد تساوي المجالين من
حيث العناية من قبل الناس وهذا له جمهور وذاك له جمهور
آخر . لكن لإزال حضور الكتب الشرعية كثير . وأنه هنا إلى
قضية وهو أنه في عامة المعارض التي أحضرها للكتب
لاشك أن حضور الكتب الشرعية هو الأول بالرغم مما قد
يذاع في بعض المصادر من أن الكتاب كذا كان من أهم
الكتب المقتناة , لكن دون مبالغة أقول في أي معرض
يحضره الإنسان فإن مثل تفسير بن كثير بالرغم من كثرة
طبعاته هو رقم (1) وصحيح البخاري أيضا هو رقم (1) وهذا
يدل على تعلق الناس وحاجتهم إلى مثل هذه الكتب .

نشكر لك هذه المداخلة الطيبة ونتمنى لكم التوفيق .

السائل : هل لدى الشيخ - عبد الكريم - تعليق ؟

الشيخ : أخونا الشيخ يوسف معروف بالعناية بالكتب أولاً ثم بهذه الآلات , وهو يفيد منها على الوجه المطلوب , ولا شك أن هذه الآلات كما قلت مرارا أنها نعم استفيد منها على وجه المطلوب. يستفيد منها طالب العلم بعد أن يؤسس وبعد أن يحصل , ويكون نفسه تكويناً علمياً على الجادة المعروفة عند أهل العلم بالطرق المتبعة , فيستفيد من هذه لاشك , وقلنا إنه يمكن أن يختبر عمله وما نقصه من علم في بعض الجوانب , أو ضاق عليه الوقت وأراد أن يتثبت من مسألة فلا بأس .

السائل : نأتي إلى الموضوع الأهم في حديثنا وهو ما ينتظره عدد كبير من الإخوة وهو أن نذكر نماذج لما يقتنيه طالب العلم من كتب . إن أذنتم لنا أن نبدأ بالتفسير وعلوم القرآن , هل يمكن أن نقول لطالب العلم مجموعة من النماذج لما يقتنيه طالب العلم من هذه الكتب ؟

الشيخ : في المقدمة التي قدمناها ذكرنا أن الكتب كثيرة جداً لا يمكن الإحاطة بها وأن الإكثار منها أيضاً على حساب التحصيل , وأنه عائق عن التحصيل , لكن على طالب العلم أن ينتقي ما يفيد . ويُعنى بهذه الكتب بطبعاتها المتميزة المعروفة لدى أهل العناية , ويسأل قبل أن يقتني عن الطبعة المناسبة , فكم من كتاب طبع مراراً وهو مشتمل على التحريف والتصحيف والنقص والزيادة أحياناً من بعض النساخ , أو إدخال بعض الحواشي في الكتاب مما تزفه هذه المطابع التي لا تعنى بالإخراج العلمي الصحيح .

على طالب العلم في البداية أن يعتني بهذا الأمر لئلا يضطر أن يشتري الكتاب مرة ثانية وثالثة ورابعة لأنه وجد في هذا الكتاب من الخلل كذا وفي هذا من الخلل كذا .

اتصلنا هـ اتفني :

معنا فضيلة الدكتور عبد المحسن العسكر.

السائل : هل لديكم تعليق ؟

الشيخ عبد المحسن : أولا أشكر بادئ الرأي إذاعة القرآن في برامجها الثمينة وطرحها المميز القيم وهذا الموضوع عن الكتاب شؤونه وشجونته أقول : قد طرق فضيلة الشيخ عبد الكريم جوانب عدة من الموضوع وغني عن البيان أن نفتح عن قيمة الكتاب . الكتاب في الحقيقة هو لذة العالم وأنيس الجليس وسلوة الغريب . أقول إن العلماء لا يملكون ثروة ولكن ثروة العالم مكتبته وريحانته كتابه وقد قرأت في كتاب تقييد العلم للخطيب البغدادي رحمه الله قوله : (ومع ما في الكتب من المنافع العميمة والمفاخر العظيمة فهي أكرم مال وأنفس جمال والكتاب آمن وجليس وأسر أنيس وأسلم نديم وأنصح كلیم) ثم روى الخطيب رحمه الله عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى " وكان تحته كنز لهما " قال اختلف أهل التأويل في ذلك الكنز فقال بعضهم كان صحفا فيها علم مدفون وقالوا ما كان ذلك ذهبا ولا فضة قال صحفا وعلماء , وعلق الحسن بن صالح على ذلك : " و أي كنز أفضل من العلم " .

الذي أريد أن أقول فيه القول وأدلي فيه بدلوي مع فضيلة الدكتور هو العلاقة بين طالب العلم والكتب القديمة . أو الكتب في طباعتها الأولى فكلنا يعلم أن الثورة الطباعية لنشر الكتب في عالمنا الإسلامي والعربي إنما كان قبل قرن ونصف تقريبا , أنا لا أريد بداية الطباعة ولكن أريد الانفجار الطباعي الذي قام في منتصف القرن السالف والذي قام بهذا العمل الطباعي وقام على نشر تلك الكتب وتصحيحها في ذلك الزمان علماء كبار بل كانوا من فحول العلماء . لهم نصيب في نشر العلم ولهم مصنفات وكانوا علماء في اللغة والفقه والأصول . كان في مصر مثلا الشيخ

محمد العدوي , والشيخ طه محمود , والشيخ نصر الهوريني , والشيخ إبراهيم الدسوقي , والشيخ إبراهيم الفيومي , والشيخ محمد الغمراوي , والشيخ محمد الحسيني , والشيخ محمد البليسي , والشيخ سيد بن على المرصفي , وكان في العراق ممن قام على نشر كتب السلف وعلومهم , والشيخ محمد شكري بن عبدالله الألوسي , وفي الشام الشيخ محمد جمال الدين القاسمي . أقول إن هؤلاء العلماء وأضربهم هم في الحقيقة الذين أخرجوا للناس الكتب ونشروا فيهم آثار السلف في الحديث واللغة والفقه والتاريخ والأدب وغير ذلك من فنون الإسلام , لا يمترى أحد في أن ما أخرج هؤلاء أصح نصاً , فهؤلاء أعلم من غيرهم وأدرى بأساليب المصنفين , لأنهم علماء , وكان الواحد منهم يعكف على الكتاب الواحد سنين عدداً , يدقق ويتجرى ويصحح , هذا " تاج العروس " في طبعته الأولى وأجزائه العشرة الضخام أخرجته رجل واحد , " لسان العرب " بأجزائه العشرين نشره وصححه رجل واحد هو الشيخ محمد الحسيني , " اتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين " أخرجته الشيخ محمد الزهري الغمراوي , وهو في عشر مجلدات كبار , وهذا " مسند الإمام أحمد " بأجزائه الستة وهو معروف طبعه رجل واحد هو محمد الغمراوي , و" شرح البخاري " للقسطلاني وأجزاؤه عشرة قام بطبعه رجل واحد هو الشيخ إبراهيم الدسوقي , كان من أولئك العلماء المتقدمين من وضع مدرسة تعلم أصول النشر كما فعل الشيخ سيد بن على المرصفي المصري رحمه الله فإنه تخرج لديه في النشر والتحقيق ثلة من كبار العلماء , منهم الشيخ أحمد شاكر , وأخوه الشيخ محمود شاكر , والشيخ محمد محي الدين عبد الحميد , هؤلاء كانوا علماء وهم الذين نشروا فينا العلم في ذلك الزمان وما زلنا نقرأ في كتبهم وفيما أخرجوه لنا , ولكننا مع تقادم الأيام وتجدد معطيات الحضارة , وإعجاب الناس بالجديد , فقد توجه كثير من الناشرين إلى إعادة طباعة تلك الكتب , وربما يكون من

أسباب إعادة الطبع قلة تلك الطبعات الأولى أو انعدامها , أما ما أعيد طبعه محققا تحقيا علميا على أيد عالمة أمينة فلا بأس به. ولكني أتحدث عما طبع مجددا دون تحقيق , أو ما كتب عليه أسماء غير معروفة , بدعوى التحقيق ولا تجدفي تلك الكتب إلا مجرد الحرف الجديد وإلا مجرد اللون البراق للورق , وحدث ما شئت عن الأغلاط والتحريف الأعوج , وضرر ذلك على العلماء وعلى العلم فادح , ولهذا فإنني من على هذا المنبر الكريم, وعبر هذا البرنامج الأمثل أوجه نصيحة لإخواني طلاب العلم وأسترشد بفضيلة الشيخ عبد الكريم في هذا المجال أرشد إخواني أن يعنوا بالطبعات القديمة بالكتب وألا يستدبروها اغترارا بالصف الجديد والورق اللامع , وأنا أذكر الآن أن بعض مشايخنا في الجامعة أيام الطلب في كلية اللغة العربية كانوا يوصوننا باعتماد كتاب سيبويه في طبعة بولاق الأولى دون الرجوع إلى الطبعة المحققة , وذلك لأن طبعة بولاق أصح والذي قام عليها عالم من العلماء السابقين , وكل أو جل ما طبعته مطبعة بولاق هو صحيح بالجملة . وصيتي أيضا إلى الناشرين وأصحاب المطابع ألا يتعجلوا بإعادة طبع أي من الكتب التي طبعت قديما إلا إذا كان في الطبع مزيد فائدة , مثل أن تجمع عدة نسخ في كتاب , أو أن يكون في المطبوع قديما خلل ونقص . وإلا يكن الأمر كذلك فأرى أن يصور الكتاب في طبعته القديمة وينشر على ما هو عليه , ففي تلك الطبعات خير , وصوابها أكثر من صواب الطبعات الحديثة , وغلطها أقل من غلط الطبعات المعاصرة . إنني أسمع من بعض الناس لوما لأولئك الذين يشترون الكتب في طبعاتها الأولى بدعوى أن أسعارها غالية ولكن تبين لنا - معشر الباحثين - وطلاب العلم أن في تلك الطبعات خير وأنها طبعت على أصول صحيحة وأن الذي قام عليها علماء كما أسلفت . هذا ما لـلـدي وشـكـرا لـكـم .

السائل : هل للشيخ عبد الكريم تعليق على ما ذكره

الدكتور عبد المحسن العسـكر؟

الشيخ : جزى الله خيرا أخانا الدكتور عبد المحسن العسـكر على ما أبداه . والعناية بما ذكره معروفة , ذكرناها في دروس ومناسبات كثيرة جدا وما زلنا نوصي طلاب العلم أن يقتنوا الطبقات القديمة لأنها أصح في الجملة . لا يماري في ذلك أحد , اللهم إلا الكتب التي جمعت لها النسخ وانبرى لتحقيقها البارع من طلاب العلم فهذا مثل ما أشار إليه الشيخ عبد المحسن ولا نختلف معه في شيء , وهذا رأيي وهذه وجهة نظري من قديم , ورددتها وكررتها , ومكتبتي جلها من هذا النوع ووصيتي أيضا لطلابي بهذا والشيخ عبد المحسن يعرف هذا , وغيره مما له معرفة بنا وبطريقتنا . على كل حال أنا خشيت من الملل من كثرة ما أوصي بالكتب القديمة , والطبقات القديمة , لأنه مثل ما أشار فضيلة الشيخ , الذين يتولون الطباعة في الزمن الأول علماء . أما الذين يتولون الطباعة وأرباب الطباعة اليوم في الغالب ولا أقول الجميع تجار يهتمهم الكسب فلا يبحثون عن نواذر الرجال لتحقيق الكتب وإخراجها . كم من كتاب طبع فيه من النقص والخلل الشيء الكثير . فمثلاً نُسأل كثيرا عن أفضل طبقات " فتح الباري " على سبيل المثال , فنقول طبعة بولاق وصورت ولكن مع الأسف حتى التصوير ندر أيضا . رغم أن الكتاب طبع مرارا بعد ذلك لكن لا يغني عن طبعة بولاق أي طبعة . من أراد أن يكتفي بالسلفية الأولى التي طبعت في حياة الشيخ عبد العزيز بن باز 1380 هـ , والشيخ عبد العزيز بن باز تولى تصحيح جزءين وبعض الثالث بنفسه وترك الباقي للطابع محب الدين الخطيب على أن يعتمد على طبعة بولاق , لأنها نسخة صحيحة ومنتقنة . ومتى يطبع " فتح الباري " بالمستوى الذي طبع في مطبعة بولاق مهما قيل عن الطبقات الجديدة أنها قوبلت وقدمت وعلق عليها وخرجت , لا يمكن . حتى السلفية الثانية والثالثة فيها من الخلل الكبير ما لا يوجد في السلفية الأولى

الحلقة الثالثة .

السائل : لعلنا نكمل ونستمر فيما يتعلق بمكتبة طالب العلم فيما يتعلق بالتفسير وعلوم القرآن .

الشيخ : طالب العلم يحتاج من كتب التفسير ما يعينه على فهم كتاب الله عز وجل , وما يعينه على تدبر كتاب الله , وما يعينه على الاستنباط من كتاب الله . فهناك كتب مختصرات مناسبة للمبتدئين وإن كان في بعضها بعض المخالفات التي يجب التنبيه عليها .

هناك تفسير مناسب لطبقات المجتمع كله , تفسير إنشائي مستمد من كتب التفسير الموثوقة وهو تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي , هذا مناسب للمتعلم وغير المتعلم , للمتخصص في العلوم الشرعية وفي غيرها , للطبيب , للمهندس , للمثقف , للتاجر , لرب الأسرة , لربة البيت , كل يستفيد منه , لأنه صيغ بأسلوب العصر . هناك أيضا تفسير مختصر جدا وغير منتشر بين طلاب العلم للأسف وهو يفيد كثيرا وهو تفسير الشيخ فيصل بن مبارك : " توفيق الرحمن لدروس القرآن " , هذا الكتاب مطبوع قديما وطبع حديثا . وقد طبع في أربعة أجزاء وهو مستمد ومختصر من الطبري والبغوي وابن كثير وهذا كتاب رغم اختصاره نافع في بابه لمن لا يسعه الوقت للرجوع إلى الأصول القديمة لاسيما الثلاثة المذكورة .

هناك أيضا تفسير مناسب ومختصر جدا هو " تفسير الجلالين " جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي وهو أشبه ما يكون بالمتن , متن علمي متين بحاجة إلى مطالعة حواشي ويحتاج أيضا إلى من ينبه على ما فيه من ملحوظات من أهل العلم , وإلا فالكتاب من أنفع ما ينفع طالب العلم لأنه مختصر جدا .

السائل : هل سبق أن أخرجتم بعض الملاحظات على هذا التفسير ؟

الشيخ : نحن شرحنا بعض هذا الكتاب في دروس المسجد , ونشر منه ما يتعلق بسورة الفاتحة في أربعة أشرطة , ولكن رأيت على طريقتنا هذه يطول جداً . فإذا كانت الفاتحة أربعة أشرطة فماذا عن البقرة مثلاً . على كل حال الشيخ عبدالرزاق عفيفي له تعليقات نافعة على ربه الآخر , عندما كان مقرراً على المعاهد العلمية , وهذا التفسير في غاية الاختصار . شخص من طلاب العلم في اليمن قبل قرن أو أكثر احتاج إلى أن يقرأ في هذا التفسير فأشكك عليه هل يقرأه بطهارة أو بدون طهارة , فقيل له الحكم للغالب التفسير أو القرآن فأخذ يعد حروف القرآن وحروف التفسير فوجدها إلى سورة المزمل واحدة لا تزيد حرف . ثم من المدثر إلى آخر القرآن زاد التفسير قليلاً فانحلت عنده المشكلة . على كل حال هذا التفسير رغم أهميته ومكانته إلا أن فيه شيء من المخالفات العقيدية .

وهناك تفسير أوسع منه بل أشهر وهو " تفسير البيضاوي " أوسع من " الجلالين " وهو أيضاً كتاب متين متقن يستفيد منه طالب العلم لاسيما ما يتعلق بالصناعة اللفظية , عليه حواشي عديدة , و العلماء لهم به عناية عجيبة , فقد بلغت الحواشي عليه أكثر من 120 حاشية , ويندر أن يأتي نسخة من تركيا أو سوريا وليس عليها حواشي قلمية فالكتاب وضع له القبول . هناك تفسير مختصر جداً يسمى " التسهيل " تفسير ابن جزى الكلبي , وهو تفسير مختصر ومحرر ومتقن ومضبوط , وهناك أيضاً تفسير النسفي , وهذه كلها مختصرات لكن تفسير الشيخ ابن سعدي لا يستغنى عنه أحد . و تفسير فيصل ابن المبارك أيضاً يحتاجه طالب العلم لاسيما عند ضيق الوقت وتفسير الجلالين أيضاً مهم بالنسبة لطالب العلم , وكذلك تفسير البيضاوي وما

عليه من حواشي , ونذكر بعضها مثل حاشية زاده , التي يتفق المترجمون على أنها أفضل الحواشي , هناك حاشية الشهاب , وهناك حاشية القونوي وهناك حاشية ابن التمجيد , وهناك حاشية الكازروني , حواشي كثيرة منها المطبوع ومنها المخطوط . هناك كتب في التفسير أطول من هذه يتصدرها تفسير الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى , وهو مناسب لكافة المتعلمين , قد يمله غير المتخصص في السنة لكثرة ما يسوقه من آثار بالأسانيد , وما فيها من تكرار . ولذا انبرى لاختصاره جمع من أهل العلم , من أفضل المختصرات اختصار الشيخ أحمد شاكر " عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير " . ومنها " تيسير العلي القدير " للشيخ محمد نسيب الرفاعي رحمة الله على الجميع , هذه مختصرات جيدة لتفسير الحافظ ابن كثير على أن الأصل لا يغني عنه شيء , لكن من كان يمل من ذكر الأسانيد لأنها أمور قد لا يستفيد منها كثير من قراء التفسير فهذه المختصرات تكفيه إن شاء الله . وأيضاً هناك " تفسير البغوي " وهو تفسير أثري سلفي , لا يخلو من ملاحظات يسيرة جداً لكنه في الجملة أثنى عليه شيخ الإسلام وأئمة الإسلام وواقع الكتاب يشهد بذلك .

" تفسير الخازن " وهو مختصر من البغوي مع إضافات , وله شهرة وانتشار في غير هذه البلاد , وصاحبه يذكر أقوال بعض المتصوفة وله عناية بذكر ما يتعلق بالمرققات " الرقائق " .

أما " تفسير الزمخشري " : وهو " الكشاف " على ما فيه من اعتزاليات يقرأه طالب العلم بحذر ويقراً ما كتب من حواشي تبين هذه الاعتزاليات . وفيه حواشي تبين اعتزاله . " ابن المُثِير " وغيره بين اعتزاله . وكثير من أهل العلم تصدى له . على كل حال هو مفيد في بابه يستفاد منه في الناحية اللغوية .

" تفسير الخطيب الشربيني " وهو يكاد يجمع بين البيضاوي والزمخشري . أطول من هذه الكتب تفسير إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري الذي هو أعظم تفسير على الإطلاق , ويجمع تفاسير السلف بالأسانيد , والكتاب مطبوع مراراً , طبع أولاً في المطبع الميمنية , ثم في بولاق , ثم حققه محمود شاكر , وحقق إلى " سورة إبراهيم " في ستة عشر جزءاً . أكمل بعد ذلك , ثم حققه الدكتور عبدالله التركي , وطبعة الشيخ أحمد شاكر أنا قرأتها بكاملها , وهي من أنفس ما يقتنيه طالب العلم , فإذا أضيفت إلى طبعة بولاق التي هي الأصل واعتمد عليها الشيخ محمود شاكر اعتماداً مع ما وجدته من نسخ لكن طبعة بولاق لا يعد لها شيء , ثم طبعة الشيخ أحمد شاكر اعتمدت على هذه بدقة .

طبعة الشيخ عبدالله التركي إقتنتها مؤخراً , ولا أستطيع الحكم عليها . كلام الشيخ عبدالمحسن اختصر علينا الكثير في العناية بالطبعات القديمة , وإلا كانت النية أن أبين طبعة كل كتاب معه في أثناء ذكره لكن أظن الوقت لا يستوعب . هناك من له عناية باللغة عليه أن يعتني بتفسير "البحر المحيط" لأبي حيان , والبحر المحيط يكاد يكون كتاب لغة , وله مختصرات : " النهر الماد من البحر " , و " الدر اللقيط من البحر المحيط " المقصود أن هذا الكتاب ينفع في الناحية اللغوية في القرآن . وهناك تفسير الرازي ويسمى " التفسير الكبير " للفخر الرازي وهذا التفسير طالب العلم المبتدئ والمتوسط الذي لم يتأهل للنقد لا ينبغي أن ينظر فيه البته , لأن مؤلفه بارع قد يمرر كثير من الشبه على آحاد المتعلمين , بل قد لا يدرك بعض المتأهلين بعض الشبه والسياقات التي يسوقها في تقرير بعض الشبه . واتهم في ذلك , حتى قيل إنه يسوق الشبه نقداً ويجب عنها نسيئة , يضعف عند ردها . هناك شبه لا يرتضيها وليست من مذهبه يعني أعظم من مذهبه , فوق مذهبه , ثم بعد ذلك يسوقها

ويجليها بقوة ثم يضعف عن ردها , ولذا لا ينصح طالب العلم بقراءة هذا التفسير حتى يتأهل . أما إذا تأهل فالتفسير فيه فوائد وقد قيل فيه : إن فيه كل شيء غير التفسير , لكن هذا جور , ففيه تفسير .

هناك "تفسير ابن عطية" أثنى عليه شيخ الإسلام متداول محقق وهو كتاب نافع .

هناك تفسير الألووسي أيضاً , تفسير مطول أسمه " روح المعاني " , لأبي الثناء محمود الألووسي الجدّ , فليس المؤلف محمود شكري بل الجدّ هذا التفسير جمع فيه ما هب ودب , و نقل فيه النقول المتباينة فيقول قال شيخ الإسلام ابن تيمية , ويقول قال الإمام المحقق ابن القيم , ويقول قال محيي الدين ابن عربي قُدّس سره , وهذا خلط , والمقصود أن فيه فوائد يستفيد منه طالب العلم لا سيما المتأهل وفيه أيضاً عناية بالتفسير الإشاري تفسير الصوفية . على كل حال الطالب المتأهل لا خوف عليه , على أنه ينبغي لطالب العلم أن يجعل في مكتبته ختم لتبراً ذمته يكتب فيه : هذا الكتاب فيه مخلفات عقديّة , هذا الكتاب فيه كذا , هذا الكتاب مذهب صاحبه كذا , ليبراً من عهدة وجوده ممن يآثره بعده أو يطلع عليه في مكتبته ويتأثر بمثل هذه الكتب , لذا كان عليه أن يختتم هذا الكتاب .

هناك كتب ألفت في جوانب من القرآن مثل : " أحكام القرآن " , أحكام القرآن أولها أهل العلم عناية من ذلك " أحكام القرآن للشافعي " فقد جمع من كلام الشافعي . و " أحكام القرآن لابن العربي " كتاب لطيف ونفيس طبع في أربعة أجزاء , وفيه نكت ولطائف ونوادر حصلت لابن العربي مع شيوخه , ومع بعض أقرانه , وفي رحلاته . المقصود أن طالب العلم يستفيد من هذا الكتاب . هناك " أحكام القرآن للجصاص " . إستنباط أحكام القرآن من وجهة نظر الحنفية

كتاب ماتع نافع جامع , لكن لا يسلم من لوثة إعتزال . هناك " أحكام القرآن للطبري الهراسي " وهو أيضاً كتاب نافع وفيه لطائف وفوائد , وللطبري موقف من الحنابلة وقصته مشهورة . وهناك الجامع وهو بحق " الجامع لأحكام القرآن " للقرطبي - وكل الصيد في جوف الفرا - هذا التفسير جامع على اسمه , وطبع مراراً وأجود طبعاته طبعة دار الكتب المصرية ليست الأولى, ولكن الطبعة الثانية , وهناك ثانية أكثر من مرة . الكتاب يشكل في طبعته . الجزء الأول طبع خمس مرات , الجزء من الثاني إلى الثاني عشر طبع ثلاث مرات ثم من الثالث عشر إلى العشرين طبع مرتين ثم من الواحد إلى العشرين هذه الطبعة الأخيرة بدار الكتب المصرية التي قوبلت على نسخ كثيرة . فبعض الأجزاء قوبل على ثلاث عشرة نسخة , فالكتاب عني به من ناحية الطباعة عناية فائقة . وفيه الإحالات السابقة واللاحقة وهذه ميزة , فالكتاب الكبير عشرون مجلداً , فإذا قال تقدم , قال الطابع : أنظر جزء كذا صفحة كذا , وإذا قال سيأتي , يقول : انظر صفحة كذا جزء كذا , هذه ميزة الطبعة الثانية , أما الطبعة الأولى فليس فيها مثل هذا , بل الطبعة الأولى الثلاث مجلدات الأولى ليس فيها إحالات , ولا فيها تعليقات , وليس فيها آيات , بينما الطبعة الأخيرة كاملة من كل وجه . المقصود أن هذا الكتاب بحر محيط فيما يتعلق بأحكام القرآن , وممكن أن يؤخذ منه فقه المالكية . يعنى ما ينسبه إلى المذاهب الأخرى قد يقع فيه شيء من الخطأ في النسبة , لا من حيث أن هذا القول لا يوجد في هذا المذهب , لكن قد لا يكون هو المعتمد في المذهب , فعلى طالب العلم أن يعنى به عناية كبيرة . هناك كتب في إعراب القرآن وكتب في علوم القرآن كثيرة جداً , كل فن من الفنون يحتاج إلى حلقة .

اتصال هاتفي : من الأستاذ عبد العزيز العويّد .

قال الأستاذ العويد بعد أن حمد الله وأثنى عليه : الحقيقة أحسن الأخوة الاختيار , وأضافوا على حسن الاختيار اختيار العالم المتخصص في هذا المجال , فجزى الله الجميع خيرا . أنا لا أستطيع أن أقول أنني أقدم شيئا , ولكنها استفسارات وأسئلة علمية أوجهها لفضيلة الشيخ وأطمح منه متفضلا مشكورا أن يضع النقاط على الحروف . المسألة الأولى هي : طريقة طلب العلم الشرعي يا فضيلة الشيخ , ألا ترى أنها تهتمش دور الكتاب اليومي في حياة الطالب , باعتماد التعليم في المسجد أو في الكلية المتخصصة في العلم الشرعي على الكتابة أو على المذكرة . أريد من فضيلتكم وقفة حول هذا المنهج وذكر الطريقة الصـ

المسألة الثانية : في المكتبات , المكتبة الإلكترونية , الأقراص الكمبيوترية , يعيش طلاب العلم بين مُعَظَم لها على حساب الكتاب المقروء ومهمش أيضا لها , وثمة رأي ثالث يرى أنها تفيد الطلبة في تقريب المعلومة وسهولة الحصول عليها مع الحاجة الشديدة للكتاب . نريد القول الصواب في الموقف الصحيح منها لطالب العلم .

المسألة الثالثة : اليوم توجد مكتبات في بيوت طلاب العلم لكن هذه المكتبات مع كونها قيمة يلحظ أنها تموت بموت أصحابها , لإهمال الورثة , أو لعدم حاجتهم إليها وعدم اعتنائهم , أولأنها تمثل مالا زهيدا بالنسبة لمال المورث . ألا يرى فضيلتكم أن أعظم وسيلة لحفظها هو التوعية بإيقاف هذه المكاتب خاصة بعد الوفاة , وخاصة أنها لا تمثل نسبة عالية من مال صاحبها مع ما لا يخفى من ابتغاء الأجر بالعلم الذي ينتفع به والصدقة جارية , والإيقاف من معاني بقاء هذه الكتب محفوظة باقية وتكون مكتبات مستديمة ثابتة . وأشـ

الشيخ عبد الكريم : نشكر لفضيلة الدكتور عبد العزيز

على هذه الأسئلة والاستفسارات , و أما بالنسبة لطريقة
تحصيل العلم الشرعي وإتيان هذا الباب المهم أو الأمر
العظيم من بابه والجادة المطروقة عند أهل العلم , هذه
بينت مرارا في مناسبات كثيرة , لكن مع الأسف الشديد
بعض من يزاول التعليم النظامي يحيل بعض الطلبة على
شيء من كتابات المعاصرين أو يكتفي الطلبة بما ينقلوه من
كلامه في مذكرات . لاشك أن هذه إماتة , لاشك أن تربية
طالب العلم سواء كان في التعليم النظامي أو غير النظامي
على كتب المتقدمين وتعويدهم على أساليب المتقدمين ,
والتعامل مع كتب المتقدمين , وفهم كلام المتقدمين , لاشك
أن هذا هو المهم , لأن طالب العلم الذي تخرج على هذه
المذكرات لا يستطيع أن يراجع الكتب القديمة , ولو تعين
في قرية وليس عنده من يحل الإشكال فيريد أن يراجع
مسألة فلا يستطيع أن يفهم , لا يعلم من الفقه لا بالقوة ولا
بالفعل , يعني لا يستطيع أن يراجع الكتب وليس في ذهنه
حصيلة .

الشيخ العويّد : هذا واضح في التربية العلمية في الكليات
الشرعية أن طلبة العلم لا يعرفون الكتب الأولية في
تخصصاتهم , فضلا عن منهجها وطريقتها وأسماء مؤلفيها .

الشيخ عبد الكريم : ولقد عتبنا على بعض المنظمين
للدورات العلمية أن قرروا في هذه الدورات كتب معاصرين
ووكلوا شرحها إلى أصحابها . نقول يا إخوان كتب
المعاصرين كتبت بلغة العصر وبلهجة العصر , يفهمها طالب
العلم وهو في بيته , دعوا هؤلاء العلماء - قبل أن تتمنوا
وجودهم وحصولهم - يشرحوا ويبينوا لطلابهم كلام
المتقدمين الباقي . فيكون طالب العلم ينفرد في قرية أو
ينزوي إما قاضي أو معلم أو خطيب أو داعية يستطيع أن
يحلل كلام أهل العلم لأنه عود عليها ومرن عليها وبينت له
وشرحت له , فالإعتماد على كتب المتقدمين هذا لاشك أنه
خلل , يعني إحالة طالب العلم في التعلم سواء كان

النظامي أو الحر في المساجد أو البيوت أو غيرها , إحالتهم إلى المذكرات أو ما يكتبه المعاصرون رغم أهميته , نعم يستفيد منها لكن العمدة تكون كتب المتقدمين , وما أجمل ما يقرأ في " فتح القدير " مثلاً للطلاب ويشرح , وكيف يستفاد من هذا الكتاب العظيم , يقرأ سبل السلام ويعلق عليه الشيخ بما أتاه الله من علم ويوضح ويحلل ويحرر المسائل ويرجح , فيربط الطلاب بكتب المتقدمين , لأنها هي التي ستبقى عنده . أيضاً حصيلة الطالب من هذه المذكرات , آخر عهده بهذه المذكرة الامتحان , ولذلك نعاني من جمع هذه المذكرات عند الأبواب وامتهانها , في الجامعات وغيرها من الجامعات يؤكدون على هذا الجانب , وفي لقاءات مع المسؤولين في الجامعات يحذرون أشد التحذير من اعتماد المذكرات , لأنه كيف يتخرج طالب علم متخصص في العلم الشرعي على المذكرات , كيف ينفع الجيل القادم وعمدته المذكرات . المقصود أنه لا بد من العناية من كتب المتقدمين وهذه المسألة الأولى .

أما المكتبة الإلكترونية فقد تحدثنا عنها وأفضنا فيها , والقول الوسط هو المعتمد , يعني لا نقول أنها لا يمكن الاستفادة منها , ولا نقول أنه يعتمد عليها , بل يستفاد منها بقدر الإمكان , لكن الكتاب هو الأصل , يبقى أن الوسيلة الوحيدة للتحصيل هي قراءة الكتاب على الشيخ , وهذا لا يستغنى عنه وهذا يأتي التنبيه عليه إن كان الوقت يسعف .

أما ما يتعلق بوقف المكتبات , فإنه يمر علينا أمور من المعاناة من الورثة . فمثلاً شخص توفي رحمه الله في بعض القرى , فما كان من أولاده إلا أن خلعوا باب المكتبة , وبنوه بالطين , وشمعوا عليها بالطين , واعتبروها غير موجودة , ولما تحدثوا مع أحد المختصين , وبينت لهم أهميتها فتحوا الباب فوجدوها قد أكلتها الأرضة . ذكر لنا قاضي من قضاة الخرج توفي رحمه الله , ذكر أنه كان لديه

مكتبة , فذهبنا إليها لنشتريها ففوجئنا أنهم انتقلوا من البيت الأول إلى بيت ثاني فيلا جديدة , فقال أولاده وقال نساؤه إن هذه الكتب تجمع علينا الحشرات والصراصير ورميناها في الزباله في الشارع , وقس على هذا كثير , يعني مخطوطات وجدت في الزباله .

الشيخ العويّد : توفي أحد طلبة العلم رحمه الله وله مكتبة , تقريبا عشرة أمتار طولاً وعشرة أمتار عرضاً , فرحلوا إلى بيت آخر , وأوصوا الناس أن المبيت مفتوح ومن يريد أن يأخذ منه يأخذ منها ما يريد .

الشيخ عبد الكريم : أدهى من ذلك أن أحد طلاب العلم المعروفين توفي قبل أربعين سنة , فجمعت مكتبته في دورة مياه لكنها ملغاة- ليست مستعملة- في السطح , فتلفت من الأمطار والسيول , فهذه كلها مآسي . ومعنى ذلك أن الإيقاف هو الوسيلة الوحيدة التي يستفاد منها , وعرفنا أن الجامعات لها عناية بالكتب , ولدي ملاحظة هي أن يتولى هذه المكتبات العامة أناس من هواة الكتب , من أصحاب الكتب , من أهل الكتب , لا يكفي أن يكون متخصص في المكتبات . مع الأسف الشديد أنا حضرت محاضرات في مكتبات مركزية كبيرة بين أمين المكتبة وبين المستعير . أمين المكتبة يقول لا هذه النسخة لا تعار , وهذه النسخة لا بأس خذها , فإذا النسخة المتاحة للإعارة هي الأصلية , والنسخة التي لا تعار هي نسخة دار الكتب العلمية ومكتوب عليها لا تعار . وهناك الشيء الكثير الذي يعتصر القلب , يعني مسألة التخصص أمر لا بد منه ويجمع مع هؤلاء أناس الذين هم هواة الكتب .

الحلقة الرابعة

والآن نعود إلى استكمال الكتب :

هناك كتب إعراب القرآن : الكعبري والنحاس , والمتأخرون أيضا لهم مساهمات جيدة في هذا الباب وعندى أن كتب إعراب القرآن ينبغي أن يستفاد منها , ويفاد منها في فهم القرآن , وفي إتقان اللغة , وفي إتقان النحو والصرف , فطالب العلم إذا عني بكتب إعراب القرآن استفاد فوائد عظيمة أتقن اللغة من جهة , وفهم القرآن . وخير ما يمرن عليه طلاب العلم في اللغة وهذا إقتراح نوجهه إلى المتخصصين في هذا الباب أن يعربوا القرآن , درس نحو مثلا أو في نهاية الفصل يكلف الطلاب بإعراب الفاتحة مثلا , ثم بعد ذلك يقابل إعرابهم بكتب إعراب القرآن فيصوب ويسدد , ويمكن أن يقوم به أي شخص , بمفرده يقوم بهذا العمل , يعرب الفاتحة ثم يعرض ما كتبه على كتب إعراب القرآن ويستفيد فوائد عظيمة .

هناك كتب علوم القرآن : " مقدمة التفسير " لشيخ الإسلام ابن تيمية في غاية الأهمية , وفيها توجيهات وأمور لا توجد في غيرها , و " منظومة الزمزمي " منظومة مختصرة وعليها شروح , و " الإتقان في علوم القرآن " للسيوطي وهو كتاب جامع , و " البرهان " للزركشي كتاب حافل , و " مناهل العرفان " للزرقاني أيضا هذا كتاب مرتب ومنظم رغم أنه ناقص , و " القواعد الحسان في تفسير القرآن " للشيخ عبد الرحمن بن سعدي من خير ما يستفيد منه طالب العلم , المقصود أن الكتب كثيرة , ولسنا بصدد سرد قوائم للكتب أو أسماء الكتب , لأن هذه تكفل بها المختصون في كل فن .

أما العقيدة : لما ظهرت الفرق والطوائف واحتاج الناس إلى تدوين العقيدة المستمدة من الكتاب والسنة . ألف

العلماء المتقدمون كتب العقائد وسموها كتب السنة بالأسانيد وجمعوها من الكتاب والسنة ومن أقوال الصحابة والتابعين التي هي العمدة في هذا الباب , وليس لمتأخر أن يخرج عن هذه المصادر في هذا الباب , فهناك كتب كثيرة منها " السنة " للإمام أحمد أو عبد الله بن الإمام أحمد , وهناك " الإبانة " أيضا , وهناك كتب كثيرة , لكن مما ينبغي أن يعنى به طالب العلم بالنسبة لكتب العقيدة : كتب شيخ الإسلام ابن تيمية الذي أحاط بما قاله السلف في هذا الباب , وجمع ما كتبه وما ذكر وما نقل عنهم , وحرره وضبطه وأتقنه في كتب كثيرة كالواسطية والحموية والتدمرية , أيضاً " مجموع الفتاوى " فيه مجموعة بحوث كثيرة جدا في هذا الباب , له أيضا كتب مطولة في هذا الباب , وله " درء تعارض العقل والنقل " الذي (ما في الوجود له نظير ثان) كما يقول ابن القيم , وله أيضا " نقض التأسيس "

(وكذلك التأسيس أصبح نقضه أعجوبة للعالم الرباني)

وله أيضا " منهاج السنة " في الرد على المخالفين من الرافضة , وله أيضا " اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم " في التشبه . المقصود أن كتب شيخ الإسلام لا يستغنى عنها طالب علم , ولا يمكن الإحاطة بها في هذه العجالة . كتب ابن القيم أيضا , " الصواعق " و " النونية " وغيرها من كتبه التي خدمت هذا المجال . مؤلفات أئمة الدعوة : الشيخ المجدد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وعلى رأسها " كتاب التوحيد " , و " كشف الشبهات " , " الأصول الثلاثة " , " القواعد الأربعة " , كتب لا يستغنى عنها طالب العلم . أيضا كتب تلاميذه من أولاده وأتباعه المدونة في الدرر السنية لا يستغنى عنها أيضا طالب العلم . المقصود أن الكتب كثيرة والوقت ضاق جدا .

أما بالنسبة للفقهاء : فهناك كتب للمتقدمين ألفها الأوائل من أصحاب المذاهب وأتباعها من تلاميذهم , ثم وجد أيضا

كتب لهذه المذاهب المتبوعة من قبل المتوسطين , والمتأخرين , ولهم طرق وقواعد في ترتيبها وألوياتها والمذهب عندهم بالنسبة للمتقدمين والمذهب عند المتأخرين , والمذهب عند المتوسطين , وهذا يحتاج إلى مزيد بسط , لكن لو اقتصرنا على بعض الكتب المختصرة في المذاهب وجدنا مثلا عند الحنابلة كتاب " الزاد " أو " دليل الطالب " أو " عمدة الفقه " .

أما مؤلفوها : " فالزاد " لشرف الدين موسى الجحاوي , و " الدليل " للشيخ مرعي الكرمي الحنبلي , و " العمدة " للموفق , ثم بعد ذلك ألف بعده " المقنع " للطبقة الثانية , و " الكافي " للطبقة الثالثة , ثم " المغني " للمنتهين . على كل حال كتب الفقه تحتاج إلى بسط , وهي مرتبة عند أصحابها على سائر المذاهب , لكن على الطالب المنتهي الذي يحتاج إلى مراجع تهمة تحرر هذه المسائل على طريقة هذه المذاهب . وإن كانت هذه الكتب ليست دساتير لا يحاد عنها , بل هي كتب بشر من خلال ترجيحاتهم . قد يكون فيها الراجح وقد يكون فيها المرجوح فينظر فيها والحكم هو الدليل . إذا فالطالب المنتهي إذا اقتنى هذه الكتب المختصرة مع شروحاتها , اقتنى أيضا " المغني " لابن قدامة . و " المجموع " للنووي و " الاستذكار " لابن عبد البر أو أحد شروح (الخليل) على ما فيها من تعقيد لمن لم يألّف مختصر خليل وشروحه . أما كتب الحنفية عندهم كتب من أنفسها " شرح فتح القدير " لابن الهمام . والكتب مشكلتها أنها كثيرة جدا . وأيضا علم شيخ الإسلام في " مجموع الفتوى " من 21 إلى آخر الفتاوى لا يستغني عنها طالب العلم في هذا الباب . وأيضا " المحلى " لابن حزم للمنتهين من طلاب العلم لا يمكن أن يستغنى عنه , لأنه فقه السلف , لولا ما فيه من شدة على الأئمة , فطالب العلم المبتدئ والمتوسط لا ينبغي أن ينظر في هذا الكتاب , لئلا يكتسب من حدة المؤلف , فشدّ على كثير من أهل العلم , وقال في

حقهم بعض العبارات التي لا تليق بمقامهم .
السائل : نرجو وصية لطالب العالم !

الشيخ : طالب العلم أولاً وآخرأ ينبغي أن يستحضر أثناء الطلب وأثناء الاقتناء وأثناء المطالعة أن يستحضر الإخلاص لله عز وجل , أثناء شراء الكتاب , وأثناء مطالعته , وأثناء الإفادة منه , لأن الهدف من القراءة تحصيل العلم الشرعي , والعلم الشرعي من علوم الآخرة المحضة التي لا تقبل التشريك . فعلى طالب العلم أن يستحضر الإخلاص , والنية شرود وفي خضم هذا الكم الهائل من الكتب ويبحث يمين ويسار وقد يغفل عن هذا , فعليه أن يستحضر هذا فهو الأساس وهو الأصل . على طالب العلم أن يهتم باقتناء الطبعات المصححة والمحققة وسبق أن أشار الشيخ عبدالمحسن إلى شيء من هذا ويسأل عما يشكل عليه من أمر الطبعات , فكم من طبعة مصحفة ومحرفة اعتمد عليها من لا يعرف , وأن يفرق بين المطابع . وأيضاً لا يعتمد الطالب على الكتاب ويهمل حضور الدروس فمن كان علمه من كتابه كان خطأه أكثر من صوابه . الطالب الذي لا يعرف الكتاب إلا في المدرس عند الشيخ قل أن يفلح , لا بد أن يعنى بالمطالعة قبل الحضور والمراجعة بعد الحضور والمذاكرة مع الزملاء . الشيخ عبدالقادر بن بدران له درس مع مجموعة من الطلاب عند شيخ من الشيوخ يقول : أولاً نحفظ القطعة ثم كل واحد في زاوية من المكان يشرح هذه القطعة قبل الاطلاع على الشرح , ثم بعد ذلك يطالعون الشرح , الصواب يُقر ويشاد به والخطأ يصحح , وبهذا يثبت العلم , يقرءون الحواشي , يذهبون إلى الشيخ يسدد ما عندهم ويزيد ما عندهم . والمطالعة يختلف الطلاب فيها إختلافاً كبيراً , منهم من هو صبور دؤوب يأخذ الكتاب لا يخلطه بغيره حتى ينتهي , ومنهم الملول يخطب هذا ساعة وهذا ساعة . فالصبور الدؤوب ليس عنده مشكلة , فهو يقرأ الكتاب حتى ينتهي بالطريقة التي تُشرح فيما بعد إن شاء

الحلقة الخامسة :

السائل : تحدثنا عن مكتبة طالب العلم , و تحدثنا عن بداية التدوين , وعن بعض المكتبات العامة والخاصة التي اشتهرت في العالم الإسلامي في الماضي , وأشارنا أيضاً إلى جزء يسير مما يتعلق ببناء طالب العلم لمكتبته في التفسير وعلوم القرآن . بقي لنا مواضيع عديدة حول بناء مكتبة طالب العلم , أستاذكم بأن نبدأ فضيلة الشيخ بالحديث عن السنة النبوية عن الحديث كيف يبني طالب العلم مكتبته في هذا العلم المهم ؟

الشيخ : الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فعلم السنة بل السنة النبوية من أهم ما ينبغي أن يعنى به طالب العلم لأنها هي المبينة للقرآن , ومفسرة له . فلتكن همة طالب العلم مصروفة لحفظ ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم , وفهمه , بمطالعة ما اعتمد عند أهل العلم من شروح وإلا فالشروح لا يمكن الإحاطة بها . فعلى سبيل المثال صحيح الإمام البخاري رحمه الله شروحه بالمئات , فيما يعتني طالب العلم من هذه الشروح , وهل يغني بعضها عن بعض؟ قديماً قيل : لا يخلو كتاب من فائدة , فإذا أمكن لطالب العلم أن يجمع أكبر قدر ممكن من هذه الشروح لتكون مراجع له عند الإعواز والحاجة فهذا هو المطلوب , لكن قد لا يتيسر ذلك لضعف القدرة المادية مثلاً أو ضيق المكان أو غير ذلك من الظروف التي تضطر بعض طلاب العلم على عدم استكمال ما ينبغي استكماله من الشروح فضلاً عن الإحاطة بجميع ما دون في هذا الباب . فلا شك أن هذه الكتب إذا أردنا الاستغناء التام ببعضها عن بعض لم يمكن لنا ذلك , نقول لا يمكن الاستغناء التام ببعضها عن بعض بدليل انه لا يمكن أن تستغنى بفتح الباري مثلاً بغيره من شروح الصحيح ولا يمكن أن تستغنى بعمدة القارئ عن

غيره من الشروح وهكذا .

لأن لكل كتاب من هذه الشروح له ميزة لا توجد في غيره , لكن إذا أراد الطالب أن يقتصر على شرح واحد , يُنظر له فيما يحقق الهدف في الجملة , يعني في الغالب دون الإحاطة بجميع ما يحتاجه لحل هذا الكتاب , فمثلاً صحيح البخاري وهو أولى ما يعني به طالب العلم لأنه أصح ما كتب في السنة بل أصح ما دونه البشر وأصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل سُرح شروح كثيرة جداً .

ولا غرابة في أن يشرح بمئات الشروح , وأشرنا في الحلقة السابقة أن تفسير البيضاوي عليه أكثر من مائة وعشرين حاشية , هذا المدون المعروف , منها ما هو كامل ومنها ما هو ناقص ومنها ما هو مختصر ومنها ما هو مطول , هناك حواشي قلمية لا يمكن الإحاطة بها على تفسير البيضاوي , وقل مثل هذا في التفاسير الأخرى , إذا فماذا عن صحيح الإمام البخاري شرح بمئات الشروح والمعدود منها الآن أكثر من مائة سرداً هذه المدونة وهناك الشروح المطولة والمختصرة والتامة والناقصة , النفيسة وهناك شروح أيضاً فيها غث كثير, المقصود أننا اخترنا أهم هذه الشروح لتكون بين يدي طالب العلم , فمن ذلك أول هذه الشروح شرح الخطابي أبي سليمان حمد بن محمد البستي هذا أقدم الشروح . اسمه " أعلام الحديث " طبع باسم أعلام الحديث لأن أكثر النسخ على هذا , وكانت شهرته عند أهل العلم " أعلام السنن " في مقابل " معالم السنن " في شرح سنن أبي داود له هذا الكتاب مختصر جداً يعني لو طبع بالحرف الذي طبع به فتح الباري لُجاء في مجلد واحد , لكن طبع محققاً في أربعة مجلدات .

السائل : والمحقق الموجد مخدوم ؟

الشيخ : هو رسالة علمية . هو أيضاً طبع محققاً تحقيقاً أقل من مستوى هذا الذي أشرنا إليه وهو لأحد الأمراء من

آل سعود طبع بجامعة أم القرى هذا تحقيق رسالة علمية ,
هناك طبعة قبل هذه الرسالة في المغرب في مجلدين هذه
طبعة نادرة جدا . يمكن الاستفادة من شرح الخطابي , لأن
الشراح ينقلون عنه كثيراً وإن كانت زُبْدُهُ أودعت في
الشرح التي جاءت بعده يعني إذا كان الطالب يُعنى بالجمع
فمن خير ما يقتنى هذا الكتاب وإن أراد الإكتفاء فيكتفي عنه
بغيره من الشروح التي تلييه .

الحلقة السادسة

هناك أيضا شرح الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى واسمه " فتح الباري " , وابن رجب رحمه الله تعالى كعادته يشرح السنة بالسنة ويشرح السنة بأقوال الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة , المقصود أن هذا الشرح فيه نَفَس السلف الصالح , فعمدته كلام السلف وهذه ميزة الحافظ ابن رجب رحمه الله , ويعنى بها عناية فائقة , ويمتاز بها عن غيره في جميع مؤلفاته . والكتاب مطبوع مرتين . على كل حال الكتاب ليس بكامل فيه خروم كثيرة , هو أولاً إلى " كتاب الجنائز " في الجملة . وفي الذي وجد منه خروم كبيرة جداً , يعني بين حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه في كتاب الإيمان في الشبهات إلى الحديث الذي يليه في الطهارة أكثر من مائتي حديث مخروم , وكم في شرح هذه الأحاديث من علم عظيم من علم السلف , فالحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى يعنى بعلم السلف وأقوال السلف , ويُتَكَب جانباً عن أقوال المتأخرين واصطلاحاتهم , فمن يطالع هذا الكتاب وطالع أيضاً شرح الأربعين له عرف قدر هذا الرجل , وله رسالة في الباب اسمها فضل علم السلف على الخلف , رسالة نفيسة لا يستغني عنها طالب العلم , رسالة في غاية الجودة . والكتاب مطبوع مرتين إحداهما بتحقيق ثمانية , طبعتها ونشرتها دار الغرباء طبعة جيدة في الجملة فيها مقابلة نسخ وفيها تعليقات , وفيها ترقيم . فهي طبعة جيدة أنا قرأتها كلها والملاحظات عليها يسيرة , والطبعة الثانية للشيخ " طارق عوض الله " وهو من خيار طلاب العلم , كان من المجودين , لكن لا يوجد له أثر في هذا الكتاب إلا النشر , فلو أتحننا بشيء من علمه في تعليقات على هذا الكتاب يفيد طالب العلم , لأن له عناية بالرواية وله عناية بعلل الحديث , وسبق أن نشر " جامع العلوم والحكم " ومثله نشره أيضاً " لسبل السلام " , فهو يُعنى بتصحيح الكتاب لكن لمساته في التعليقات التي تفيد

طالب العالم ليست على مستوى علمه الذي نعرفه عنه , أنا قابلته شخصياً , عرفته عن قرب , هو من خيار من يتصدى لنشر الكتب في العصر الحديث , على كل حال أنا عنايتي بتحقيق الثمانية لأنها خرجت أولاً فوقعت موقعها, وقرأتها وراجعت طبعة الشيخ طارق وهي جيدة في الجملة . هناك أيضاً شرح الكرمانى اسمه " الكواكب الدراري " , وهذا الشرح شرح ماتع نفيس , فيه فوائد كثيرة جداً , وفيه لطائف وطرائف , كثير منها يتعلق بتراجم الرواة , فيذكر في ترجمة الراوي أطرف ما يذكر من أخباره , وهذا ينشط القارئ . على أوهام في الكتاب لأنهم يقولون إنه أخذ علم هذا الكتاب من الكتب , ومعروف أن الذي علمه من كتبه ليس علمه كمن زاحم أهل العلم ,

وهنا أبيات ذكرها بعضهم :

يظن الغمر أن الكتب تُهدى أخافهم لإدراك العلوم وما يدري الجهول بأن فيها غوامض حيرت عقل الفهيم إذا رمت العلوم بغير شيخ ضللت عن الطريق المستقيم وتلبس الأمور عليك حتى تكون أضل من توم الحكيم

وقالوا عن " ابن حزم " إنه أخذ علمه من الكتب , ولذا خف عنده الأدب بالنسبة لأهل العلم كما ينبغي وإلا فالرجل من أهل العلم كما هو معروف على ما عنده من خلل في العقيدة , لكن أرسل لسانه في بعض أفاضل هذه الأمة وخيارها , وعلى كل حال هذه من عيوبه . ويقول أهل العلم إن وضعه الاجتماعي بين وزارة وبين تضيق وإهانته وإحراق كتب. على كل حال ابن حزم له وعليه , وليس هذا مجال بسط مثل هذا الكلام . " الكواكب والدراري " هذا من أولى ما يبتدئ به طالب العلم بالقراءة , لأنه يشد الطالب ويحفزه على القراءة , والكتاب ليس بطويل طولا مملأ .

السائل : الكواكب طبع في كم مجلد .

الشيخ : طبع في خمسة وعشرين جزءاً صغاراً، وأجزاء صغيرة جداً يعني هو إثني عشر مجلد وحرفه كبير، يعني هو مناسب جداً للقراءة ، على أوهام فيه أحياناً تقع منه الأوهام بحيث يكون رد هذه الأوهام في الكتاب المشروح - الرد في الكتاب المشروح - حتى قال الحافظ ابن حجر: (وهذا جهل بالكتاب الذي يشرحه) أحياناً منها يفهم فهماً وينجع في الفهم ويحمل الخطأ للإمام البخاري ، وأحياناً - وهذا نادر - يسيء الأدب مع الإمام البخاري ، ولكن هذه نادرة جداً ، تعقبه الشراح و كلهم اعتمدوا عليها ممن جاء بعده ، لم يستغن عنه ، فاعتمدوا عليه وأفادوا منه فائدة كبيرة ، وكشف لهم عن كثير من الأمور، بل فتح لهم الطريق لكنهم تعقبوه ، بعضهم يتعصب عليه وبعضهم ينصفه، على كل حال الكتاب نادر وماتع على الأوهام التي ذكرناها فيه ، فلو قدر أن تنشر هذه الأوهام ، وهي عندنا مدونة على الكتاب كله ، والردود عليهم من الشروح الأخرى مع الكتاب ، لكان الكتاب غاية في النفاسة ، لكن طالب العلم المبتدئ يقرأ الكتاب وهو لا يعرف أن هذه أوهام ، فتقع منه موقع القلب الفارغ ، فعلى كل حال هذا الكتاب نفيس وممتع ويشد القارئ . أيضاً وفق بطبعة جميلة جداً ، وحرف جميل ، فالكتاب أنصح به ويرجع إليه ، والكتاب طبع في المطبعة المصرية ، والمطبعة المصرية هذه طبعت مجموعة من الكتب أبدعت في طباعتها ، يعني طبعت هذا الكتاب وطبعت تفسير الرازي وطبعت شرح النووي وطبعت مجموعة من الكتب .

الشيخ : لكن لو طبعوا تفسير الطبري وتفسير ابن كثير وفتح الباري لكان وفقوا في ذلك ، أيضاً هناك شرح العيني " عمدة القارئ " ، و عمدة القارئ كتاب مرتب على الفنون لبدر العيني .

السائل : على الفنون أم على الأحاديث يا شيخ ؟

الشيخ : الأحاديث على ترتيب البخاري , لكن شرح كل حديث يرتبه يبدأ بالمناسبة , ثم الرواة , ثم اللغة , ثم المعاني , ثم البيان , والبديع , والمقصود ترتيبه بديع وهذا في رُبع الكتاب الأول , أما في الربع الثاني فأقل , والنصف الأخير مختصر جداً , وهذا الكتاب في الجملة نافع , فبسبب ترتيبه لا تتعب في البحث عما تريده مع طول الكتاب , الكتاب مطبوع في تركيا في أحد عشر مجلداً كبيراً , ثم طبع في المطبعة المنيرية في خمسة وعشرين جزءاً , ثم طبع بعد ذلك في مطبعة الحلبي في عشرين جزءاً , والطبعة المنيرية نفيسة , أما الطبعة التركية فجيدة في الجملة , لكن التعامل معها فيه شيء من الصعوبة لتداخل المباحث , أما الطبعة المنيرية ففصلوا المباحث بعضها عن بعض , فصلوها وحرفه في الغالب جميل وترتيبهم بديع في الطباعة , شرح العيني هذا اعتمد على الشروح المتقدمة , بحيث كانت مقدمته مأخوذة بحروفها من مقدمة النووي على البخاري في حدود عشر أو إحدى عشرة , أو اثني عشرة صفحة بحروفها من شرح البخاري للنووي . فالنووي شرح قطعة من البخاري فشرح بدء الوحي والإيمان فقط , وهذه القطعة طبعت في المطبعة المنيرية مع مجموعة اسمها شروح البخاري للنووي والقسطلاني وصدیق لبدء الوحي والإيمان من صحيح البخاري . هذه المقدمة استلها العيني من شرح النووي , ثم بعد ذلك أخذ يشرح الأحاديث , ويفيض في الشرح وينقل عن الحافظ ابن حجر كثيراً , لكنه لا يسميه بل يبهمه , فيقول قال بعضهم , ثم يتعقبه كثيراً .

السائل : وهو معاصر له يا شيخ ؟

الشيخ : نعم من الأقران . إذا انتهى مجلد من شرح الحافظ ابن حجر , استُعيّر بعلم الحافظ ابن حجر للعيني واطَّلَع عليه . ونقل منه الصفحة والصفحتين , فتصدى للرد عليه , وبينهما ما بين الأقران من المنافسة , وهناك كتاب في الباب اسمه " مبتكرات اللآكيء والمدرر في المحاكمة

بين العيني وابن حجر " للبوصيري وهو شخص معاصر, أيضا ابن حجر له كتاب " انتقاض الاعتراض " يذكر كلامه ثم يذكر كلام العيني وتعبه عليه , ثم ينقضه , وأجاب كثيرا من الإشكالات التي أوردها العيني والتعقبات , لكنه أبقى أشياء فيض لها ولم يتيسر له إكمالها , " مبتكرات اللآئى والمدرر " فيه محاكمات كثيرة بين الشيخين بإنصاف , لكن بقيت هناك أشياء ما تطرق لها ابن حجر نفسه ولا البوصيري في " المبتكرات " , بقيت أمور تحتاج إلى محاكمة بين الشيخين , وتحتاج إلى مزيد عناية . وعندنا بعض المدونات في شيء منها . شرح العيني قلنا أنه طبع ثلاث مرات . ثلاث طبعات هي الطبقات التي يمكن استفاد منها طالب العلم , الطبعة التركية ثم المنيرية ثم الحلبية , أما الطبقات الأخيرة , طبقات المطابع التجارية المتأخرة كما سبق لنا أن أشرنا في الحلقة السابقة , مع مداخلة الدكتور عبد المحسن العسكر, أشرنا إلى أن تولي هذه المطابع الحديثة للكتب الكبيرة التي تحتاج إلى لجان متخصصة لتصحيحها وتصويبها يقع فيها الخطأ الكثير, لذا من كان عنده طبقات قديمة أو مصورة على هذه الطبقات القديمة فليستمسك بها , لا سيما الكتب الكبيرة التي ما جُمع لها نسخ واعتني بها , وقورن بين هذه النسخ . فالكلام السابق ليس على إطلاقه, فقد يتيسر وجود نسخة صحيحة من الكتاب , و يعتمد المتقدمون في المطابع القديمة على نسخ حسب تيسرها لهم . وهم مع ذلك لا يشيرون إلى فروق النسخ , ثم يتيسر للمتأخر أن وقف على نسخة المؤلف , أو نسخة قوبلت على نسخة المؤلف , أو لأحد تلاميذ المؤلف أو ما قرب من عصره , وفيها عناية ومقروءة من قبل أهل العلم , ثم يطبع الكتاب عنها , تكون له ميزة .

الحلقة السابعة

شرح الحافظ ابن حجر واسمه " فتح الباري " كما هو معروف , وهو أشهر من نار على علم , عني به العلماء عناية فائقة طبع للمرة الأولى في بولاق سنة ألف وثلاثمائة , ثم بعد ذلك طبعه صديق حسن خان في الهند في ثلاثين جزء , وهي طبعة نفيسة ونادرة إلا أن الاستفادة من قبل أوساط المتعلمين في غاية الصعوبة لعدم تعلمهم وتمرنهم على الخط الفارسي , نعم هو باللغة العربية لكن الخط الفارسي متعب بالنسبة لآحاد المتعلمين , ثم بعد ذلك طبع طبعات كثيرة , فطبع في المطبعة الخيرية وهي طبعة جيدة , ليست مثل بولاق إلا أنها طيبة , يعني ينبغي لطالب العلم أن يعتني بها إذا لم يتيسر له طبعة بولاق, ثم طبع بالمطبعة البهية , ثم طبع بالمطبعة السلفية وبإعانة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله .

السائل : معنا اتصال هاتفي نأخذ الاتصال لأنه قد يكون تعليق على هذه . معي الشيخ صالح بن مقبل العصيمي . السلام عليكم

الشيخ صالح : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. أقول يا شيخ تحدثت كثيرا عن " فتح الباري " وعن الاشكالية التي حدثت خلال وضع نصوص البخاري في طبعة الفتح غير التي اعتمدها الحافظ ابن حجر, أولاً من المعلوم أن الحافظ ابن حجر لم يدل متون أحاديث البخاري في " الفتح " , فهل هناك إمكانية أن يعاد طبع " الفتح " مع نصوص الإمام البخاري بحيث تكون نصوص موافقة للشرح ؟

الشيخ : أما ما يتعلق بفتح الباري مثل ما ذكرنا طبع الطبعة الأولى في بولاق وهي مجردة من المتن , على ما أراد الحافظ ابن حجر , المتن وضعه الطابع في الحاشية لا

علاقة له في الشرح , وهكذا جاءت الطبعة الخيرية بعدها والهندية كلها المتن مفصول فصلاً تاماً عن الشرح , وأيضاً البهية كذلك , والحلية طبع فيها في سبعة عشر جزءاً , المتن مفصول عن الشرح . أول من أدخل المتن في الشرح محمد فؤاد عبد الباقي في الطبعة السلفية الأولى , التي عني بها الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عليه في الجزء الأول والثاني وشيء من الثالث أدخلوا المتن في الشرح , الحافظ ابن حجر في المقدمة أشار إلى أنه سوف يدرج المتن في الشرح , ثم عدل عنه في مقدمة المجلد الأول , فرأى أن إدخال المتن في الشرح يطيل الكتاب , والتمن معروف ومتداول ومشهور بأيدي طلاب العلم كلهم , فلا يحتاج إليه , هل يتصور أن الشخص يكتفي بفتح الياري عن صحيح البخاري ولو كان الصحيح في الشرح , إذاً الحافظ ابن حجر وجهة نظره أن المتن لا يدخل في الشرح , وهذا ما استقر عليه رأيه ومع هذا اعتمد الحافظ ابن حجر على رواية أبي ذر , وأشار إلى ما عداها عند الحاجة . والتصرف في الكتاب من قبل من أدخل المتن في الشرح على غير مراد المصنف , ولذا لم يوفقوا في اختيار متن يوافق الشرح , فتجد الحافظ يشرح يقول: (قوله) وتنظر إلى المتن فلا تجده , لأنه معتمد على رواية معينة . وهذا من شؤم التصرف في كتب العلماء . المؤلف ما أراد أن يدخل المتن . تدخل أنت المتن لماذا؟! الأمر الثاني : ليتك لما أدخلت المتن تدخل متن يوافق الشرح , وهي رواية أبي ذر . طبع " الفتح " بعد ذلك في المطبعة السلفية الطبعة الأولى , وهي طبعة عني بها الشيخ ابن باز رحمه الله . في المجلد الأول قابلها على نسخ خطية وقف عليها , وجئ بها وأحضرت لديه . فالمجلد الأول والثاني علق على المخالفات العقدية , وعلق على بعض المسائل الحديثية والاصطلاحية , ولكنها قليلة , نبه على جميع المسائل العقدية التي خالف فيها ابن حجر في المجلد الأول والثاني , وأوائل الثالث , ثم انشغل رحمه الله عليه لما تولى رئاسة الجامعة الإسلامية نيابة عن

شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم رحم الله الجميع , فقال لمحِب الدين الخطيب صاحب المطبعة السلفية اضبط على بولاق , لأن من خلال المقابلة وجد أن بولاق ما فيها إشكال فهي طبعة نفيسة . ولنا أمنية في طبعة بولاق - بهذه المناسبة - أن يصنع بها كما صنع في " الصحيح " الطبعة السلطانية فترقم , يوضع أمام كل حديث بداية شرحه , رقمه , وأطرافه , ورقمه في التحفة , والإحالة على الشروح الأخرى , ويصور على ورق الشمواه الجديد , فيصبح أنفوس من الأصل , ويتداول بين الناس . وقد كان امتلاك النسخة السلطانية من " فتح الباري " حلم لدى طلاب العلم لماذا ؟ لأنها مطبوعة سنة ألف ثلاثمائة وإحدى عشر , الأمر الثاني أن كلها مكتوب عليها وقف في كل صفحة من الكتاب , (وقف لله تعالى لا يباع ولا يوهب ولا يورث) الصفحة الأولى مكتوب عليها (وقف لله تعالى) , والتي تليها (لا يوهب ولا يورث ولا يباع) وذلك في كل صفحة من الكتاب . هذا الأمر حقيقة خدم الكتاب ونشر الكتاب بين طلاب العلم , الأمنية أن تكون هذه الخدمة أيضا لفتح الباري , لماذا لا يفعل به كما فعل بالصحيح , ترقم أحاديثه ويحال على الأطراف وعلى الشروح الأخرى , ورقم الحديث من تعليق التعليق , وتحفة الأشراف فيكمل العمل ويصور تصويراً جميلاً بالألوان مثل الأصل , فتكن أنفوس من الطبعة الأصلية , هذه أمنية فنعود إلى الكلام . فقال الشيخ ابن باز: اطبعوا على طبعة بولاق , وطبعة بولاق فيها أخطاء يسيرة جدا جدا , وقف عليها صديق حسن خان العالم المعروف الهندي , الذي تولى إمارة هناك في بهوبال فأعاد طبعه عنده في الهند في ثلاثين جزءاً , ولم تسلم أيضا الطبعة الهندية وتسمى الأنصارية من الأخطاء . وطبع الكتاب بعد ذلك طبعات كثيرة لا تعد , لأهمية الكتاب وشهرته , وإفادة طلاب العلم منه , لا تسلم من أخطاء , وبعضها أمثل من بعض كما هو معروف .

السائل : لكن يا شيخ لما طبعها كما ذكرت الشيخ : محب الدين الخطيب رحمه الله أدخل أيضا المتن خلاف لرواية أبي ذر ؟

الشيخ : أدخل المتن ملفقا ليس على رواية معينة , يعني ملفق من روايات , وهذا خلاف ما يوصي به أهل الحديث , ينبغي أن يكون كتابك على رواية واحدة .

السائل : والآن لا يوجد كتاب على رواية أبي ذر بالنسبة لفتح الباري .

الشيخ : ليس هناك رواية لأبي ذر لفتح الباري , رواية أبا ذر لمتن الصحيح .

السائل : أقصد ما أحد أدخل الآن رواية أبي ذر في شرح فتح الباري مطبوعا أبدا .

الشيخ : الشيخ عبد القادر شيبه الحمد وقف على نسخة في مكتبة الحرم المدني , كتب عليها رواية أبي ذر , ويأتي مثلها كثير من المغرب فلهم عناية بهذه الرواية , لكن يوجد بينها وبين ما اعتمده الحافظ شيء من الاختلاف , فالشيخ وفقه الله لمس الحاجة الماسة لرواية أبي ذر , فوقف على هذه النسخة وكانت مخرومة مجلد فأكملها من الأزهر . وعلى كل حال يُشكر على هذا الاهتمام , لكن يبدو أن الذين طبعوا الكتاب ما اختاروا الطبعة المناسبة من طبعات الشرح , نعم فهذه الرواية التي كتب عليها رواية أبي ذر فيها اختلاف - وإن كان يسير- بين ما اعتمده الحافظ ابن حجر وبينها . لكن الذين طبعوا الكتاب ما اختاروا الطبعة الأمثل لما أرادوا أن يدخلوا المتن في الشرح . و ليت الشيخ أفرد المتن الذي وقف عليه ونشره كما هو , وعني بشرح القسطلاني وذكر فروق الروايات , والطبعات القديمة للصحيح , طبعة بولاق الأولى والثانية , الأولى السلطانية والتي تليها , وإلا فالصحيح طبع قبل ذلك في بولاق طبعات

لكنها خالية من ذكر الروايات . ثم ما دام الكلام في البخاري فالطبعة السلطانية التي طبعتها السلطان عُني بها بضعة عشر من أهل العلم , فهي طبعة صحيحة ومنتقنة , فيها ما يقرب من مائة خطأ تلافاه أصحاب مطبعة بولاق في الطبعة الثانية سنة ألف وثلاثمائة وثلاثة عشر وأربعة عشر, فصححوا هذه الأخطاء , فطلعت الطبعة الثانية أصح من الأولى , لكن الذي صور الكتاب واعتنى به صحح الأخطاء , فخرج في مجلدات كبيرة من " دار المنهاج " .

السائل : لكن هم طبقوا ما ذكرت أنت قبل قليل من الأمانة ؟

الشيخ : نعم وهذه الأمانة منذ أكثر من خمسة عشر سنة وأنا أعرض الكتاب على المطابع ليخدموه هذه الخدمة , وكلهم يرحب بالفكرة و يرى أهمية هذا العمل , ومع ذلك ما رأينا شيء , لما خرج هذا الكتاب جيء لي بنماذج من مطابع , وأنهم بدءوا يشتغلون , ويرقمون وكذا , وعلى كل حال الجهود موفقة , وما زال الناس لهم عناية بسنة النبي صلى الله عليه وسلم . بعد طبعة بولاق أخذ عنها الطبعة الميمية , ثم بعدها الطبعة الخيرية , وكلها بفروق النسخ مأخوذة من بولاق , ثم الحلبية , والحلبيه هذه صورت , وصور معها مقال للشيخ أحمد شاكر, عن الصحيح وعناية اليونيني به ورواية الصحيح , صور هذا المقال للشيخ أحمد شاكر وألصق بما صور عن الطبعة الحلبية واشتهر بين طلاب العلم , مع الأسف الشديد أن هذه طبعة الشيخ أحمد شاكر, والشيخ أحمد شاكر لا عناية له بالصحيح أعني عناية ظاهرة منشورة , يعني ما نشر شيء عن الصحيح إلا هذا المقال , استل هذا المقال فوضع مع ما صور عن الطبعة الحلبية فروج باسم طبعة الشيخ أحمد شاكر هذا ترويح , وإلا فالشيخ أحمد شاكر لا عناية له بهذه الطبعة على أقل الأحوال التي ذكر اسمه عليها , هذا مجرد ترويح تجاري , ومع الأسف أنه

انطلقى على كثير من طلاب العلم , بل على بعض أهل العلم , أهل العناية بالكتب , يقول : هذه طبعة الشيخ أحمد شاکر , لكن الشيخ أحمد شاکر ليس له طبعة للصحيح . نعم الشيخ أحمد شاکر له مقال عن الصحيح , ذكر فيه عناية اليوناني بالصحيح , وذكر بعض الروايات استل هذا المقال , وصور الطبعة الحلبية فجعل مقدمة لها وقيل هذه طبعة الشيخ أحمد شاکر .

طبع البخاري مرارا عشرات المرات لأهميته , لكن ينبغي أن يعنى طالب العلم بهذه الطبعة التي أشرنا إليها , وهي الطبعة السلطانية التي أكملت بهذه الخدمة .

الحلقة الثامنة

هناك أيضا من الشروح شرح القسطلاني واسمه " إرشاد الساري " , " إرشاد الساري " هذا يمكن أن يكون ملخص أمين من " فتح الباري " و " عمدة القارئ " مع إفادته من الشروح الأخرى , هذا الكتاب لا يغني عنه غيره لمن أراد ضبط الصحيح , ضبط رواية الصحيح , ضبط صيغ الأداء , ضبط المتون , يعني ضبط بالحرف , فيشير إلى اختلاف جميع الروايات , ولو لم يترتب عليها فائدة . فيشير إليه " القسطلاني " , وهذه عناية فائقة بالكتاب . وإذا نظرنا إلى معاناته عن البحث عن النسخة الأصلية اليونانية , بحث عنها مدة طويلة فلم يقف عليها , وقف على الفرع فرع اليونانية وقف عليها , ثم بعد ذلك قابل كتابه أكثر من خمسة عشر أو ستة عشر مرة , قابل نسخته على الفروع وعني بها , ثم بعد ذلك وقف على المجلد الثاني من الأصل من اليونانية , وجده يباع أي النصف الثاني فاشتراه , وقابل عليه الفرع , فوجده مطابق لا يختلف بشيء , ثم وجد المجلد الأول بعد مدة طويلة فقابل كذلك , ولذلك يقول (كذا في فرع اليونانية كهي) , ما يقول كذا في اليونانية فرعها , لأنه قابل كتابه على الفرع , ثم وجد الأصل كهي : أي كالأصل . أقول الكتاب له أهمية كبرى لطالب العلم , فهو يعني بالروايات , و من باب الإنصاف وقفنا على فروق عند الحافظ ابن رجب لا توجد عند اليونيني ولا عند القسطلاني فروق في الروايات , يدل على طول باع ابن رجب في هذا الباب , وعنايته بالصحيح أيضا . عرفنا أن عناية القسطلاني بالصحيح , فهو بالحرف يبين فروق الروايات , وقبله اليونيني , وهو اعتمد على اليونيني . واليونيني قبل ابن رجب , ومع ذلك ابن رجب وقف على فروق لا توجد لليونيني و لا عند القسطلاني , وإرشاد الساري هذا مطبوع مرارا , يعني إذا عرفنا أن بولاق ما طبعت " عمدة القارئ " , ولا طبعت الكرمانلي , وطبعت " فتح الباري " مرة واحدة , و طبعت القسطلاني الأولى

والثاني الحجم الكبير جداً ، والثالثة والرابعة حجم متوسط بدون حواشي بدون هوامش ، الخامسة والسادسة والسابعة وعلى هامش القسطلاني شرح النووي على مسلم ، يعني كم طبع في بولاق ؟ سبع مرات ، طبعته المطبعة الميمنية مرتين ، و طبع في الهند وطبع في غيرها من أقطار الدنيا ، أعني القسطلاني ، لماذا ؟ لأهميته ، على أن هذه الشروح لا تسلم من المخالفات العقيدية ، فجّلّ الشراح على عقيدة الأشعري رحمه الله . وهذه من أهم الشروح بلا شك ، وهناك شروح متأخرة كثيرة جداً ، فهناك " فيض الباري " لأنور الكشميري ، وهناك " لامع الدراري " ، وهناك " كوثر المعاني " وهناك شروح لا تعد و لا تحصى ، للمتقدمين والمتأخرين ، فلا تحصى شروح البخاري .

السائل : نأخذ مسلم يا شيخ .

الشيخ : " صحيح مسلم " لمسلم بن الحجاج ، هو ثاني كتب السنة ، عند جمهور أهل العلم ، وإن قدمه المغاربة مع أبي علي النيسابوري على صحيح البخاري ، عني به المغاربة عناية كبيرة ، عنوا به أكثر من صحيح البخاري ،

يقول الحافظ العراقي :
أول من صنف في الصحيح محمد وخص بالترجيح
ومسلم بعد وبعض الغرب مع أبي علي فضلوا ذا لونغ

وعلي النيسابوري يقول : ما تحت أديم السماء كتاب في العلم أصح من كتاب مسلم ، على أنه ينازع في كون كلمة " أصح " تنفي المساواة ، وهذه مسألة طويلة الذيول مبحوثة في كتب علوم الحديث . أقول صحيح مسلم عني به أهل العلم ، وشروحه شروح كثيرة جداً لكنها كلها لا تسلم من إعواز ، قد يحتاج طلاب العلم إلى ما يحل بعض الإشكالات مع توافر الشروح ! أول هذه الشروح " المُعَلِّم " لأبي عبد الله المازري ، كتاب لطيف في ثلاثة أجزاء ، وهو بداية

بـ اكورة.

السائل : شرح كامل لمسلم ؟
الشيخ : مر على مسلم كله في الجملة , يعني يفوته أشياء كثيرة جداً لم ينبه عليها , لكن الكتاب مختوم بأخر مسلم . هذا الكتاب باكورة ينبغي أن يُعني به طالب العلم من هذا الباب , لأن القاضي عياض جاء فأكمله في كتاب " إكمال المعلم " , ألف كتابه " إكمال المعلم " وهو كتاب نفيس , اعتمد عليه كثير ممن جاء بعده , وفيه شيء من البسط . ثم " إكمال إكمال المعلم " للأبي , وهذا الكتاب أيضاً فيه فوائد وطرائف , كثير مما يحتاجه طالب العلم مما يتعلق بالكتاب , وهناك أيضاً , " مُكَمَّل إكمال الإكمال " للسنوسي , وهذه الشروح سلسلة , لا يغني بعضها عن بعض .

السائل : طبعت مجموعة يا شيخ ؟
الشيخ : هي ما طبعت مجموعة , طبع بعدها كلها " المعلم " فقد طبع متأخراً , و " إكمال المعلم " أيضاً طبع أخيراً , وطبع قبله " إكمال إكمال المعلم " للأبي , ومعه بنفس الطبعة " مكمل إكمال الإكمال " للسنوسي , فتصور طبع " إكمال إكمال المعلم " و " المُكَمَّل " قبل " المعلم " و " إكماله " , على كل حال طالب العلم ينبغي أن يعنى بهذه الكتب الأربعة , وإذا انضم إليها شرح النووي على مسلم , وهذا لا يستغني عنه طالب العلم على إختصاره , كتاب مبارك , فيه فوائد وقواعد , وضوابط وتحريرات , وتحقيقات , لا يستغني عنها طالب العلم , وهذا الشرح - أعني شرح النووي - كامل .

وقد طبع شرح النووي مرارا , طبع بالهند سنة ألف ومائتين وسبعين , وست وسبعين , وطبع خمس أو ست مرات بالهند , إلى سنة سبعين بعد الثلاثمائة وهو يطبع في الهند في مجلدين , طبعته المطبعة الكستلية في خمسة مجلدات , وهي التي يعتمد عليها أوائل المحققين كالشيخ أحمد شاكر

وغيره . ثم طبع بالمطبعة البهية المصرية في ثمانية عشر جزءاً في طباعة فاخرة , وهي صحيحة بالجملة , وهي لا تسلم من بعض الأخطاء كأي عمل بشري , لكنها طبعة جيدة , " شَرْحُ النووي " يمر فيه كلمات تدور كثيرا , يسأل عنها طلاب العلم , منها : قوله : (قال صاحب المطالع) , (قال صاحب التحرير) , فهو ينقل بكثرة عن هذين الكتابين , فيعني " مطالع الأنوار " لابن قرقول , وصاحب التحرير " التحرير لشرح صحيح مسلم " لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل الأصفهاني . والنووي ينقل عنهما بكثرة فيقول : حكى صاحب المطالع , وقال صاحب التحرير , وقال القاضي , فالنووي اعتمد على ما تقدمه , لكن النووي له نفس في الكتاب وتحريرات وتحقيقات , لا يستغني عنها طالب علم . هناك أيضاً " المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم " للقرطبي , " المفهم " للقرطبي , و " تلخيص مسلم " له أيضا , اختصر فيه صحيح مسلم , والمقصود بالقرطبي : أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي شيخ أبي عبدالله صاحب التفسير , و من الطرائف أن شخصاً جاء لي بقول نسبه لشيخ الإسلام ابن تيمية , فقلت له المصدر؟ قال : تفسير القرطبي , فقلت كيف ؟ قال : يقول (قال شيخنا أبو العباس) وهذه العبارة يكررها ابن القيم كثيرا يقول (قال شيخنا أبو العباس) (و سألت شيخنا أبا العباس) و (رحم الله شيخنا أبو العباس) وهكذا , فجاء بهذا القول ونسبه إلى شيخ الإسلام , لأن القرطبي قال (قال شيخنا أبو العباس) , مع العلم بأن القرطبي التلميذ المفسر قبل شيخ الإسلام ابن تيمية , فالقرطبي المفسر يعني بقوله (قال شيخنا أبو العباس) : أحمد بن عمر صاحب " المفهم " . " المفهم " لأبي العباس القرطبي , كتاب من نوادر الكتب ففيه فوائد غزيرة جدا في سائر العلوم , فيه قواعد وضوابط حديثية , وفقهية , وأصولية , لا يستغنى عنها طالب علم , طبع " المفهم " أخيراً أكثر من طبعة , وهو محقق في رسائل علمية لعلها أن تنشر , وإن كان نشرها فيه شيء من الصعوبة , لأن الرسائل سبع أو ثمان رسائل وكل رسالة ثلاث مجلدات

أو أربعة فيطول بذلك الكتاب .
السائل : عندكم في الجامعة كامل ؟
الشيخ : نعم هو عندنا في قسم السنة وعلومها كامل ,
والكتاب كما ذكرنا كتاب نفيس .

الحلقة التاسعة

هناك أيضاً " فتح الملهم بشرح صحيح مسلم " لشبير أحمد العثماني , هذا هندي متأخر من علماء الهند لكنه لم يكمله وأطال فيه النفس , وفيه فوائد و طرائف , و استطرادات , وأشياء مفيدة , تفيد طالب العلم لا سيما بالنسبة لصحيح مسلم , هذه الشروح كلها لو صيغت في شرح واحد لم تعادل فتح الباري كلها ولذا لو انبرى بارع للتنكيت على شرح النووي, يعني على صحيح مسلم وشرح للنووي , ويُذكر في مؤلفات الحافظ ابن حجر أن له نكت على شرح النووي , والنكت توضح الإشكالات وتذكر ما أغفله صاحب الكتاب , وتناقشه , فهي قريب من الحواشي , إلا أن الحواشي تعرض لكل شيء , بينما النكت تعنى بالمهمات . " فتح الملهم " هذا طبعت مقدمته وثلاث مجلدات كبار , ثم أكمل في ستة مجلدات أخرى . أقول : لا يزال الإعواز في صحيح مسلم قائم , فلو اعتنى طالب علم متمكن لشرح صحيح مسلم من كل وجه , نظير شروح البخاري , أو أقل الأحوال بالتنكيت على أحد هذه الشروح , وذكر ما أهمل أحياناً في صحيح مسلم . يرد إشكالات كثيرة , مثل (قال أبو أحمد) , وذلك في متن صحيح مسلم , فتبحث عن أبي أحمد هذا , وكثير من طلاب العلم لا يصل إليه , لأنه لا يشير إليها الشراح (أبو أحمد) هذا هو الجلودي راوي الصحيح , ففي الصحيح (قال أبو أحمد) , ثم بعد ذلك يسوق الخبر أو بعض الإسناد من غير طريق مسلم لأن في الصحيح مباشرة (قال أبو أحمد) فتذهب إلى رجال الكتب الستة فما تجده , فمثل هذه الأمور وغيرها مما اشتمل عليها الصحيح من تنبيهات ولطائف وعلل , يشير إليها الإمام مسلم , وفوائد اصطلاحية في باق سياق المتون والأسانيد , شيء ما يخطر على البال , فلو اعتنى به بارع وتصدى له , وتفرغ له , فسوف يطلع عمل جليل , وعندنا بعض المقيدات في هذا الباب , لكن نسأل الله جل وعلا أن يعين على

الشيخ : نعم , لكنه - كما ذكرنا هناك - أنه طبع تبعاً لأكثر النسخ باسم " أعلام الحديث " . " معالم السنن " لأبي سليمان الخطابي طبع في حلب , الطبعة الأولى في أربعة أجزاء , ثم طبع بعناية الشيخ أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي في ثمان أجزاء , مع المختصر للمنذري ومع التهذيب لابن القيم , فالمعالم على اختصاره كتاب ينبغي أن يعنى به طالب العلم . هناك أيضاً شرح لابن رسلان أحمد ابن الحسين الشافعي , شرح حافل مشحون بالفوائد لا سيما ما يتعلق بالفقه وأصوله وقواعده , فنسأل الله جل وعلا أن يبسر نشره , لأنه محقق وجاهز للنشر في رسائل علمية , أما النشر العام فلم يتيسر إلى الآن , شرح العيني شرح جيد إلا أنه ناقص .

السائل : العيني شارح البخاري ؟
الشيخ : نعم بدر المدين العيني شارح البخاري , لكنه ناقص , وطبع ما وجد منه في خمسة مجلدات أو ستة . ومن هذه الشروح بل من أهمها " عون المعبود " لشمس الحق العظيم أبادي شرح متوسط مطبوع في أربعة مجلدات كبيرة في الهند , هذه الطبعة جميلة نفيسة , إلا أنها مثل ما ذكرنا عن الطبعة الهندية لفتح الباري , أن الذي لم يتعود على الحروف الفارسية تصعب عليه قراءة هذه الطبعة , طبع بعد ذلك في المطبعة السلفية بالمدينة عن الطبعة الهندية , وطابعه لم يعرف أن يقرأ تلك الحروف الفارسية , فتصحف عليه كثير , إلا أن طبعته " لعون المعبود " أمثل من طبعته " لتحفة الأحوزي " مثلاً , والشخص هو نفسه , وطبعته " لتحفة الأحوزي " أمثل من طبعته " للموضوعات " لابن الجوزي , وطبعته " للموضوعات " أمثل بكثير من طبعته " لفتح المغيـث " للسخاوي .

السائل : كلها نقلها عن الطبعة الهندية ؟
الشيخ : نعم فعون المعبود طبع بالهند وأخذ عنها , وتحفة

الأحوزي أيضاً طبع بالهند وأخذ عنها , وفتح المغيث
للسخاوي طبع بالهند وأخذ عنها , وهذا الرجل لا علاقة له
بالعلم الشرعي , لكنه نشر بعض الكتب بمشورة من
صاحب المكتبة السلفية , " عون المعبود " هذا كتاب
متوسط , وتَفَس المؤلف حديثي , لا ينحاز إلى أي مذهب
من المذاهب . ولذا وفق في كثير من مباحثه يُعنى
بتخرجات المنذري , و تصويبات ابن القيم وتعليه للأحاديث
, ونقل عن فتح الباري وغيره من الشروح , شرحه وسط
يعني يفيد منه طالب العلم , ولا يضجره بطوله . " بذل
المجهود " للسهارنفوري , كتاب مطبوع أيضاً في عشرين
جزءاً , لكنه يختلف عن عون المعبود , عون المعبود يشرح
الحديث بتَفَس أهل الحديث لا ينحاز إلى مذهب , لكن هذا
صاحب بذل المجهود ينحاز إلى مذهب أبي حنيفة , لا شك
أنه وجه بعض الأحاديث أو كثير من الأحاديث لخدمة المذهب
, والكتاب لا يخلو من فائدة , فيه فوائد كثيرة جدا ولا يمكن
بالنسبة لسنن أبي داود أن يستغني عنه طالب علم لطوله
وكثرة مباحثه . هناك كتاب " المنهل العذب المورود "
للشيخ محمود خطاب السبكي , " المنهل العذب المورود
في شرح سنن أبي داود " هذا الكتاب أنجز منه مؤلفه
عشرة أجزاء , وطريقته ترتيب مواد الشرح على الفنون ,
كما فعل العيني في " عمدة القارئ " فهو شرح مرتب , فيه
طول , إلا انه لم يكمل , وشرح منه عشرة أجزاء , وشرع
ابنه أمين بن محمود خطاب السبكي في إكماله , وخرج
للابن أيضا ستة أجزاء , ويقال إنه أكمله أو قرب من إكماله .

الحلقة العاشرة

السائل : استأذنا الشيخ ...معنا اتصال هاتفي من فضيلة الشيخ عبدالله البراك .
الدكتور عبدالله : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ,
أهلاً بكم باسم الشيخ .

الدكتور عبدالله البراك : يسمح لي الدكتور عبدالكريم بتنبيه أود أثناء إستعراضكم لهذه الشروح أن يعلق فضيلتكم عليه , وهو كما لا يخفى عليكم أن الحفاظ على التراث وحراسته من العبث والتلاعب أمر واجب ولازم , فما أسهل أن يقول بعض الناشرين قام بتحقيقه لجنة من العلماء بإشراف الناشر, وهناك من يستل فصل وينشره باسم المؤلف , ويكون هذا الفصل وهذا الكتاب لأحد الكبار, وكما سماهم فضيلة الشيخ بكر حفظه الله تنتيف الكتب , وهناك من يعبث باسم الاختصار أو الانتقاء , ويدعي تنقية الكتاب كما يقول من الأحاديث الضعيفة فالأساليب تعددت والعبث واحد , أرجو من فضيلة الشيخ وهو شيخنا في مثل هذه الأمور والمسائل , جزاه الله خيراً توجيه من فضيلته لطلاب العلم حول هؤلاء العابثين , وما رأى الشيخ لو جعلت لجنة لحفظ التراث من العبث ونقد العابثين تصريحاً لا تلويحاً , أود أن يعلق الشيخ على هذه المسألة .

الشيخ : كلام الشيخ عبدالله واضح ومفصل , وفي مكانه أيضاً , وشكراً للشيخ عبدالله على ما أبداه من ملاحظة ينبغي العناية بها . أما بالنسبة للعبث بالتراث فحدث ولا حرج , بعضهم يكتب ضبط وتحقيق وهو في الحقيقة مسخ وتحريف , والأمثلة كثيرة على هذا , وبعضهم يتصدى للتحقيق وهو لا يعرف من العلم الشرعي شيئاً , يعلق على حديث ابن عمر في طلاقه لزوجته " مُرّه فليراجعها حتى تحيض ثم تطهرثم تحيض " إلى آخر الحديث , فيقول : (هكذا كان الحكم لما كانت العدة قبل الطلاق) هذه هلوسة ,

وبعضهم كتب (تحقيق وتعليق) فتصفحت الكتاب فلم أجد فيه ولا كلمة تعليق , إلا ترقيم لبعض الآيات , وجاء في الأخير في جدول الخطأ والصواب , فكتب : الخطأ (تحقيق وتعليق) الصواب (تحقيق وشرح) , هذا عبث ويضحك على الناس , فمثل هذا ينبغي أن توجد لجنة تؤدب أمثال هؤلاء , وتحذر من صنيع هؤلاء , وتوقف هؤلاء عند حدهم . العبث بالتراث من جهة أخرى , وهي الاختصار , يعني السطو على كتب أهل العلم بالاختصار مما لا يحسن , يعني نوصي بعض الطلاب باختصار الكتب لماذا ؟ لأن الاختصار وسيلة من وسائل التحصيل , ونوصيه بذلك للإنتفاع , لا للنشر , فمثلاً طال عليك فتح الباري , وصعبت عليك معلوماته , وتشتت في ذهنك , فبإمكانك أن تختصر , لكن لا تخرج إلى الناس بمختصر فتح الباري , كما خرج في بعض المختصرات التي أساءت إلى الكتاب , فحذفت أهم مهماته , والجوانب المشرقة فيه , واقتصر على ما يريده من الكلام الغث , وأدخل فيه ما ليس منه , وغيره , والمقصود أن العبث بالتراث على أشده , ولا يوجد جهة تحد من هذا العبث إلا أن يتصدى أهل العلم للتحذير من هؤلاء في دروسهم العامة والخاصة .

السائل : بالتصريح كما قال الدكتور عبدالله يقول : إن المفروض أن نتجاوز مسألة التلميح إلى التصريح . الشيخ : ليس فيه ما يمنع أبداً , لأنه إذا عُرف فلان بهذا يصرح باسمه , ورأينا من كتب في الصحف في الأيام الأخيرة من انتحل كتاباً هو لغيره موجود . المقصود أن مسألة الاختصار قد يكون الكتاب فيه حشو كثير ويتولاه طالب علم متمكن , ليقرب الفائدة من هذا الكتاب , والاختصار مسلك ونوع من أنواع التصنيف بشرطه , وليس معنى هذا أنه فقط ليقال أن فلان له اسم يدور بالمكتبات , وهذا مكثّر من التصنيف , هذا عبث , وهذه حقيقة مرة إذا كان هذا هو الهدف , لكن إذا رأى أن هذا الكتاب الكبير فيه

فوائد عظيمة لا يمكن أن يستغنى عنها , إلا أنه يحول دون الاستفادة منها طول الكتاب فلا مانع , الحافظ ابن حجر اختصر كثيراً من الكتب , ونفع الله بمختصراته , وإن كان بعض الناس يلمزه بهذا , وأنه طمس معالم الكتب ونسبها إلى نفسه , والحافظ له حساد , ولا شك أن شهرة الحافظ ابن حجر غطت على الأصول , يعني كتابه " التلخيص الحبير " لا يكاد يذكر عند أصله " البدر المنير " , في الفائدة , و مع ذلك تأخر طبع الأصل لانتشار الفرع , وشهرة الحافظ ابن حجر , وقل مثل هذا في بقية مختصراته , لكن لا يمنع أن ينبري عالم مدرك , يميز بين ما يحتاجه طلاب العلم وما لم يحتاجونه , بين الغث والسمين , ويهذب بعض الكتب , لكن هذا ليس على إطلاقه , ينبغي مثل ما تفضل الدكتور أن تشكل لجنة لحفظ التراث من العبث , وبداية قبل تشكيل هذه اللجنة على أهل العلم أن ينبهوا , ولا تكاد تمر مناسبة في دروسنا إذا رأينا كتاباً في يد طالب من الطلاب , نلاحظ على طبعته بعض الأشياء ننبه عليها في وقتها في الدروس في المسجد , وبعض الكتب أعرفها من مجرد حجمها , أو لونها , وأنبه على ما فيها من خلل , فالتنبه أمر في غاية الأهمية , لا سيما أن المطابع الآن تزف إلى الناس بالمئات , بل بالآلاف الكتب , هذا بلا شك أنه يحير طلاب العلم , فلا بد من ترشيد هذا الأمر وصيانته , مسألة الاستدلال وهو الأخذ من الكتب , مثل كتاب راج في الأسواق , وهو كتاب " بداية الخلق " وما فيه أي مظهر من مظاهر التحقيق بل فيه تحريف , " بداية الخلق " هذا مأخوذ من " البداية والنهاية " من أول البداية والنهاية لابن كثير , ونشره باسم : بداية الخلق لابن كثير عناية فلان , وهو من البداية والنهاية , ومثله " قصص الأنبياء " للحافظ ابن كثير من البداية والنهاية , و " السيرة النبوية " لابن كثير من البداية والنهاية , وهكذا , أمّا إن كانت هناك مزيد عناية للمستل , بأن كان هذا الشخص الذي استل هذه المادة المتكاملة من هذا الكتاب , إذا كان هذا من أجل خدمة وشدة حاجة الناس لهذا المستل من بين

هذه الموسوعة الكبيرة , فهذا هدف صحيح , والأمور بمقاصدها , ومثال آخر علي العيث بالكتب باسم التحقيق : قول بعض المحققين (لم أقف على هذه الآية الكريمة في المصحف الشريف) يقول هذا تعليقا على حديث قدسي , " قال الله تعالى كذا " فهل هذا محقق؟! هؤلاء هم السراق , فإذا كان بعض الرواة يطعن بأنه يسرق الحديث , فهذا أيضا يسرق , هذا ينتحل , هذا يتقمص .

نعود إلى شروح سنن أبي داود " المنهل العذب المورد " قلنا إنه للشيخ محمود خطاب السبكي , الذي أبدع في ترتيبه , وجمع المادة العلمية من المصادر التي يعتمد عليها في الباب , ولم يكمله , فقام ابنه بإكماله , و صدر من الأصل عشرة أجزاء , ومن التكملة ستة أجزاء , وفي طريقه أيضا إلى التتميمه .

هناك كتاب ليس بشرح في الحقيقة لكنه لا يستغني عنه من يعاني سنن أبي داود , ويعنى بسنن أبي داود , وهو " تهذيب السنن " لابن القيم , وكلامه منصب على بيان علل الأحاديث , وبتفَس الأئمة الكبار المتقدمين , إذا عرض لحديث بين جميع ما قيل فيه , وما فيه من علل , وكثير منها من استنباطاته وإدراكه للعلل والخلل , فهو إمام في هذا الباب . يتكلم عن علل حديث واحد في عشرين أو ثلاثين صفحة , يسيل واديه هناك كما يقال (حتى يملأ الخوابي ويبلغ الروابي) رحمة الله عليه , هناك حواشي على السنن مثل حاشية السيوطي " مرقاة الصعود " , هناك شخص مغربي اسمه البجمعوي اختصر بعض كتب السيوطي , فالسيوطي له شروح مختصرة جداً على الكتب الستة , فقام هذا المغربي فاختر هذه الشروح , " فالتوشيح على الجامع الصحيح " للسيوطي في مجلد على " صحيح البخاري " شرح مختصر جداً , جاء هذا المغربي فقال " روح التوشيح " فاختر هذا المختصر, أيضا للسيوطي " المديح " في جزء صغير على " صحيح مسلم " , جاء البجمعوي هذا

فاختصره في " وشي الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج
". وهكذا " مرقاة الصعود " للسيوطي فاختصره المغربي
في " درجات مرقاة الصعود " , وهكذا على بقية الكتب
الستة , وحواشيه على الكتب الستة مطبوعة في ستة أجزاء
صغيرة. ونقتصر على هذا الحد من سنن أبي داود .

الحلقة الحادية عشرة

السائل : إذن قبل أن نترك سنن أبي داود نأخذ هذه المداخلة فضيلة الشيخ , معي الأستاذ خالد الشنير .

أستاذ خالد : السلام عليكم . باختصار أنا عندي ثلاث نقاط , لفتت نظري وخاصة من الناحية الحديثية في هذا الزمن , في السنوات الأخيرة , الأولى : لاحظنا يا شيخنا أن الكتب التي بدأت تخرج في الآونة الأخيرة , بدأت كما يسمونها " موضة إطالة الحواشي في التخريج " , فأصبح يخرج حتى الأجزاء الحديثية التي لا تكاد يعرفها كثير من طلبة العلم , وأصل الحديث موجود في الصحيحين أحيانا , فأصبحت الكتب بدلا من أن تخرج في مجلدين مثلا , تخرج علينا في أربع أو ست مجلدات , مما يثقل كاهل طالب العلم , ومما لا تكون فيه الفائدة الكبيرة , بل تشتت أفكارنا في قراءة كتب الإمام الذي نقرأ له , هذه هي النقطة الأولى .

السائل : سواء كانت رسالة علمية أو غير رسالة علمية يا أستاذ خالد ؟

الأستاذ خالد : لا , أحيانا الرسالة العلمية لها ظروفها الخاصة , ولكن أحيانا نشر الرسالة العلمية أيضا له دوره .

الأستاذ خالد : النقطة الثانية يا شيخنا أيضا ظاهرة أخرى بدأت في الآونة الأخيرة , وهي البحث في القصص الموجودة عن السلف من التابعين , ومن بعدهم , أحيانا لا يبنى عليها أي حكم فقهي , فتبدأ ظاهرة تضعيف هذه القصص , وليت هذا يقف عند هذا , بل جعل من يورد هذه القصص من الجهال بعلم الحديث , مع أنه - أقول مرة أخرى - لا يبنى عليها أي حكم شرعي , بل هي من المرققات التي تذكر , فهل هذا المنهج يا شيخ خاصة في

الآونة الأخيرة التي ظهرت , هل هو منهج سليم يتبع أم هو منهج متشدد ؟ فنرجو أن نسمع رأيكم في هذا . أخيراً يا شيخ وهو رجاء لك , ونحن نشاهد إمامك بكتب الحديث , وإمامك بطبعتها , فهلا أتحدثنا بشرح لأحد كتب السنة , لعل الله أن ينفع به بعد مماتك , وأنت تعرف أن هذا من الأشياء التي ينتفع بها العبد إذا مات , وجزاكم الله خيراً .

الشيخ : شكراً للأخ خالد على هذه اللفتة الكريمة . أما بالنسبة لإطالة الحواشي والتخريج بالرجوع إلى الأجزاء , والمعاجم والمشيكات , والكتب التي هي غير مشهورة ومتداولة بين الناس , مع أن أصول هذه الأحاديث موجودة في الكتب المتداولة المشهورة , نقول قبل ذلك : هذا خلل في التحصيل , فتجد بعض طلاب العلم مغرم بهذه الأجزاء والمعاجم والمشيكات , يحفظ زوائدها ويخرجها ويحققها , مع أنه من أجهل الناس بالبخاري مثلاً , لا شك أن هذا خلل في المنهجية , فنحن عندنا علم عظيم في الصحيحين , يجهل كثير من طلاب العلم ما يحويه صحيح البخاري من دقائق العلوم , و " صحيح البخاري " كتاب الإسلام بحق , يعني بعد كتاب الله , جمع أبواب الدين كلها , فتجد طالب العلم من باب الإغراب - والإغراب تميل إليه النفس - يلجأ إلى هـذا .

السائل : لكن أنتم يا شيخ ما تلزمون في الدراسات العلمية العالية بهذا أثناء التحقيق ؟
الشيخ : مثل ما تفضل الأخ الشيخ خالد أن الرسائل العلمية لها ظروف خاصة , فهذه ورقة اختبار , يعني بقدر اطلاع الطالب وسعة اطلاعه على هذه الكتب المشهورة وغير المشهورة ينبغي ويبرع , لكن إذا تجاوز هذه المرحلة , أو لم يلزم بهذه الأمور , فينبغي أن تكون العلوم أولويات , فيعنى بالصحيحين قبل كل شيء , ثم بعد ذلك بالسنن , ثم المسانيد , فأهل العلم لهم ترتيب , فتصور أن " مسند الإمام

أحمد " بعد " سنن ابن ماجه " في الترتيب , مع أنه في قوة الأحاديث في مصاف " سنن أبي داوود " , لماذا ؟ لأن لهم نظرات دقيقة , يقدمون الصحيحين ثم الكتب الصحاح الأخرى , التي ما التزم أصحابها بما اشترطوا , كصحيح ابن خزيمة وابن حبان ومستدرک الحاكم , ثم السنن ,

ثم بعد ذلك المسانيد

وبعدها في رتبة ما جعل على المسانيد فيدعى الجفل

لماذا ؟ لأن هذه المسانيد ألفها أصحابها على أسماء الرواة من الصحابة , فالذي يصنف على السنن , ماذا يصنع ؟ يترجم بحكم شرعي , فيقول : باب حكم كذا , وباب جواز كذا , وباب تحريم كذا , فإذا أراد أن يرشح لهذا الحكم من مروياته , سوف يرشح أقوى ما عنده من رواية , بينما إذا ترجم بصاحبي مثل أحاديث أبي بكر الصديق , وأحاديث عمر , وأحاديث عثمان , إلى آخره , يأتي بجميع ما وقف عليه من أحاديث ذلك الصحابي , بغض النظر عن قوة ذلك الحديث , لأنه لا يستدل لحكم شرعي ترجم به , ولذلك تأخرت مرتبة المسانيد عن مرتبة السنن , هذه أولويات , أولها أهل العلم عناية فائقة , فكون الطالب يذهب إلى " جزء الألف دينار " مثلاً , أو مشيخة فلان أوعلان , وهو جاهل بصحيح البخاري , فهذا إغراب , وهذا خلل في المنهجية .

السائل : نتكلم عن البحث والقصص الموجودة عن السلف .

الشيخ : هناك قصص يذكرها السلف وتذكر عنهم و اعتمدها , لا لبناء الأحكام عليها وإنما هي من باب حفز الهمم , فينقل عن السلف في العلم والعمل والعبادة والتعب والسهر في هذا الباب , مما يشحذ هممة المتأخرين

لمحاكاتهم وسلوك سبيلهم , فهل نحن بحاجة إلى أن نبحث إلى صحة هذا الخبر عن فلان ؟ وهل نحن نعتمد على هذا ؟ لو لم يكن في هذا الباب إلا عمله لقلنا بدعة , لو لم يعتمد على الكتاب والسنة , فهذا لا شك أنه من المنشطات. بل تعدى الأمر ذلك فصاروا يبحثون في أسانيد كتب مستفيضة ومشهورة عند أهل العلم , لكن لقصورهم أو تقصيرهم ما وجدوا من الأسانيد ما يثبتونها به , فجرؤا على أن نفوا هذه الكتب , وهذه مشكلة فإن هذه الكتب تتابع أهل العلم واستفاض النقل عنها , منسوبة إلى من نسبت إليه , ثم يأتينا من يقول : هذا الكتاب لم تثبت نسبته إلى فلان , لماذا ؟ لأنه لم يجد سند يسنده إلى فلان , فالاستفاضة أمر معمول به عند أهل العلم , يعني يُقطع بشهادة الاستفاضة بين الناس في الأنساب , فكيف لا تثبت بها الكتب التي ينقل عنها الأئمة الثقات الأعلام , أهل الخبرة والدراية , المميزون بين ما يثبت وما لا يثبت , فتتبع مثل هذا والتنبيه عليه لا شك أنه من الفضول , ومثل هذا لا شك أنه يعوق عن تحصيل المهمات .

أما بالنسبة لما طلبه ورجاه , من شرح أحد كتب السنة , هذا النية موجودة له . وهناك أشرطة كثيرة حول أبواب من صحيح البخاري , وصحيح مسلم , وللسنن , وغيرها من كتب السنة , ولبلوغ المرام , وغيره من كتب الأحكام , ويحرص الطلاب على تفرغها وتصحيحها وتصويبها , لكنني غير مقتنع من تفرغ الأشرطة ونشرها في كتب , لأن التـأليف فـنـ .

السائل : لماذا لا تراجعونها يا شيخ ؟

الشيخ : أنا عندي التأليف ابتداءً أسهل من مراجعة ما كتب , والتأليف فن , والإلقاء فن آخر , نعم بعض الناس عنده ملكة في الإلقاء , وترتيب للمعلومات بحيث يقرب جدا

الحلقة الثانية عشرة

السائل : سنن الترمذي يا شيخ .
الشيخ : نعود إلى جامع أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي , وهو من الجوامع لأن كتب السنة منها الجوامع التي تشمل أبواب الدين , ومن أهمها البخاري ومسلم والترمذي , ومنها السنن ومن أهمها سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه , ومنها المصنفات كمصنف ابن أبي شيبة ومصنف عبدالرازق , وهي قريبة في مادتها وترتيبها من السنن , إلا إنها لكثرة ما فيها من آثار تختلف عن كتب السنن , منها أيضاً الموطأ , ومنها المعاجم , ومنها المسانيد , إلى غير ذلك من الكتب . جامع أبي عيسى الترمذي أحد الجوامع التي تشتمل على أبواب الدين , وعني به العلماء عناية فائقة , لكثرة ما يحويه من أحاديث ومن علوم ومن معارف في السنة , ومن تنبيهات اصطلاحية ونقل لأقوال أهل العلم , وذكر شواهد الحديث المذكور , فالترمذي يعقب على الحديث الذي يرويه في قوله : (وفي الباب عن فلان وفلان) هذه شواهد للحديث , يُعنى بها الشراح ويخرجونها . والآن نعرض لبعض شروح الترمذي .

السائل : أستاذك يا شيخ قبل أن نعرض لبعض شروح سنن الترمذي معنا إتصال من الشيخ عمر المقبل .
الشيخ عمر : جزاكم الله يا شيخ عبدالكريم , وبارك فيكم . شيخنا الكريم هذه الثورة الطباعية التي نعيشها اليوم , حتى لو قال قائل : إنه لو دخل المكتبة يوماً لوجد جديداً , ليس هناك نية لعمل أو إيجاد مركز معلومات يعتني بالرصد الدقيق لما نشر قديماً , وما ينشر حديثاً , بحيث يستخدم في هذا كل إمكانيات الفهرسة الممكنة لخدمة الباحثين , ولعل في هذا معالجة لمشكلة تعرض لها شيخنا من قبل في الحلقة السابقة , وهي الترف الحاصل من بعض طلاب العلم في تتبع الطباعات , التي قد لا يكون من جمعها كبير فائدة , وفي الوقت نفسه تسد حاجة المعوزين من طلاب العلم

الذين لا يستطيعون شراء ما يريدون ، ولعل أيضاً في إيجاد مثل هذا المركز يكون فيه مساندة مع العمل الذي يقوم به الشيخ يوسف الخلاوي في موقع " ثمرات المطابع " لأنكم تعلمون أن جانب الإنترنت ليس كل الباحثين يتيسر لهم التعاون معه ، بل بعضهم ، وليسوا بالقليل لا يحسنون التعامل مع هذه الوسيلة .

السائل : هل ترون قيام المؤسسات بها أولى ؟
الشيخ عمر : بلى ، لكن في تقديري أنه إذا تنادى المهتمون بهذه الجوانب ، بحيث تكون تحت مظلة إحدى المراكز ، بحيث يكون هناك تبادل معلومات قوي ودقيق ييسر هذا بإذن الله هناك نقطة أخرى إذا أذنتم لي ، وهي مسألة توثيق الكتاب إلى مؤلفه ، يعني يلاحظ هناك إغراق من بعض الباحثين ، أو تعتمد الإطالة في ذكر ذلك ، وربما يكون الكتاب مشهوراً لمؤلفه حتى لا يحتاج إلى هذا ، فما أدري ما ضابط نسبة توثيق الكتاب إلى مؤلفه؟ هل هذا من الترف أم هو في حاجة إلى بعض المواطنين ، وفي بعض المواطنين لا ، و شكر الله لكم .

الشيخ : جزى الله أخانا الشيخ عمر على ما قدمه خيراً ، أما بالنسبة لمركز المعلومات والرصد ونفع الباحثين وتمييز الغث من الثمين ، فهذا مطلب لا شك أنه ملح ، ويحتاجه طلاب العلم ، ومثل ما تفضلتم ، ينبغي أن تتبناه جهة رسمية ، لكن هذه الجهات إذا اقترح عليها ، تحتاج إلى من ينيها إلى مثل هذه الأمور ، ولا تتأخر إن شاء الله تعالى .
أما بالنسبة للتوثيق لنسبة الكتاب إلى مؤلفه ، هذا لا شك أنه إذا كان الكتاب مطبوع لأول مرة وغير مشهور ، فلا بد من التوثيق من نسبه إلى مؤلفه ، ووجد وطبع كتب نسبت إلى غير مؤلفيها ، مثل " الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن " هذا نسب إلى أبي القاسم .

السائل : باعتبار أن له كتاب اسمه " الفوائد " يا شيخ ؟

الشيخ : له كتاب " الفوائد " لا شك , لكن " الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن " كله مبني على المجاز .

السائل : المجاز لا يراه ابن القيم .
الشيخ : نعم و سماه طاغوت في " الصواعق " , وهذا الكتاب يختلف تماماً عن تفس ابن القيم . ومثله كتاب " أخبار النساء " نسب لابن القيم , وليس لابن القيم , المقصود أن هناك كتب نسبت إلى غير مؤلفيها , وكتب لمؤلفيها سميت بأسماء كتب أخرى , فلا بد من التثبت , لكن الزيادة التي تطغى على المقاصد , هذه لا شك أنها مهمة لكنها تطغى على مقاصد , وتغرق دون تحصيل الفائدة , وتشغل حيز كبير من الكتاب ومجرد تثبت نسبة الكتاب إلى مؤلفه بالطرق المتبعة عند أهل العلم يكفي .

الشيخ : نعود إلى جامع أبي عيسى الترمذي , هو من الجوامع المعروفة المشهورة عند أهل العلم عني به العلماء قديماً وحديثاً , له شروح كثيرة منها " عارضة الأحوزي " لابن العربي المالكي , عارضة الأحوزي هذا كتاب جيد متوسط الحجم , لأبي بكر ابن العربي المالكي يُعنى بالمسائل الفقهية , وإن كان لا يغفل بعض الكلام اليسير المختصر على لطائف الإسناد وما أشبه ذلك , لكن سوء الطباعة حال دون الإفادة منه , طبع في مطبعة الصاوي والتازي طبعت سيئة للغاية . وعندنا في نسختنا التصويب أكثر من الكتابة , وفيه إسقاط أحاديث بشروحا , وفيه إدخال كلام ليس لابن العربي , فيه إقحام لكلام ليس للترمذي . هم أرادوا طباعة الكتاب فاستعاروا نسخة أحمد شاكر من جامع الترمذي , والشيخ أحمد شاكر له تعليقات على نسخته خرج بعض الأحاديث , فأدخلوها في الكتاب , ومن هذا تعرف قيمة هذه الطبعة . فالكتاب - أعني عارضة الأحوزي - لو يُبحث عن نسخ له , ويحقق ويخرج على مراد المؤلف , ويعلق على ما فيه من مخالفات عقدية يسيرة , لكان الكتاب يسد ثغرة , وإن كان لا يفي بالغرض , لكنه

نافع , فيه فوائد ولطائف لا توجد عند غيره .

الحلقة الثالثة عشر .

هناك أيضاً كتاب اسمه " النفع الشذي " لابن سيد الناس , وهذا من أنفع الشروح وأمتعها وأنفسها , هذا الكتاب لم يكمله ابن سيد الناس , وسعى الحافظ العراقي في إكماله , ولابنه أبي زرعة أيضاً تكملة , وللسخاوي أيضاً تكملة , المقصود أن هذا الكتاب أبدع فيه ابن سيد الناس , وأيضاً لا يقل دونه إبداع الحافظ العراقي .

السائل : أكمله بنفس الإسم " النفع الشذي " ؟
الشيخ : نعم " تكملة النفع الشذي " لكنه لم يطبع منه سوى جزئين , بتحقيق الأستاذ البارع الشيخ الدكتور أحمد معبد , من خيار من عرفناهم من أهل هذا الشأن , كان عندنا في قسم السنة , ونفع الله به نفعاً عظيماً , وهو من نوادر الرجال , وبعدهما ذهب الشيخ إلى مصر - حقيقة - أنا قصرت في حقه كثيراً , المقصود أن الشيخ أخرج المجلد الأول والثاني , وأطال النفس جدا في التعليقات , وليست من التعليقات التي ترهق الكتاب , مثل تعليقات بعض الناس التي هي مجرد نقل من كتاب إلى كتاب , فينقل التهذيب إلى حاشية كتاب كذا , أو يفرغ كتاب من كتاب , لا , الشيخ له وقفات وله لمسات وله تحقيقات لا توجد عند غيره , وهو من أهل هذا الشأن , لكن إطلاله بهذه الطريقة بحيث يترجم لراوي مثل ابن إسحاق في سبعين صفحة . طالب العلم بحاجة إلى أن يكون هذا التعليق بحثاً مستقلاً عن ابن إسحاق , فمثل هذه الاستطرادات رغم أهميتها وجودتها , وإمامة الشيخ أحمد في هذا الباب , لا شك أنها تعوق دون إخراج الكتاب , فمن سنين لم يخرج الثالث , ومن سنين يقولون الثالث في الطريق , لكن ماذا عن الرابع والخامس والعاشر , وبهذه الطريقة يمكن أن يخرج في خمسين أو ستين مجلداً والله المستعان . على كل حال شرح ابن سيد الناس لجامع الترمذي يفاد منه , وأيضاً مقدمة ابن سيد

الناس فيها لفتات واختيارات اصطلاحية لا توجد عند غيره , نقل كثير منها إلى كتب المصطلح .

هناك " تحفة الأحوزي " للمباركفوري , كثير من طلاب العلم ممن لا يعنى بجمع كل ما كتب حول هذه الكتب , يقول : إذا أردت أن أقتني واحداً فهل أقتني " عارضة الأحوزي " أو " تحفة الأحوزي " ؟ نقول : اقتن تحفة الأحوزي لأنه وفى بعناصر الشرح المطلوبة , أما العارضة فقد تجد حديثاً ما شرح , وقد تجد حديثاً شرحه مبتوراً , قد يكون مردّ هذا إلى النسخة التي اعتمد عليها وسوء الطباعة , لكن على الوضع القائم " تحفة الأحوزي " أفضل بكثير, ويعنى أيضاً المباركفوري بتخريج الأحاديث التي أشار إليها الترمذي بقوله : (وفي الباب) .

هناك أيضاً من مختصرات السيوطي على هذه الكتب , وهي شروح مختصرة جداً : " قوت المغتدي على جامع الترمذي " ومختصره الذي أشرنا إليه " نفع قوت المغتدي " . أيضاً تعليقات الشيخ أحمد شاكر على جامع الترمذي لا يستغني عنها طالب علم , وهي أيضاً منهج لتحقيق الكتب . وهي في مجلدين جامع الترمذي بتحقيق الشيخ أحمد شاكر , يستفيد منها طالب العلم في التصحيح , يستفيد منها أيضاً منهجية التحقيق , نعم قد نختلف مع الشيخ أحمد رحمه الله في توثيق بعض الرواة وتضعيفهم , حيث وثق في تعليقاته أكثر من عشرين راوٍ جماهيراً هل العلم على تضعيفهم , نختلف معه في هذا , لكن لا يعنى أننا لا نفيد منه , فالشيخ مدرسة في التحقيق . وتحقيقه لرسالة الإمام الشافعي ينبغي أن يدرس في قاعات البحث في الدراسات العليا ليحتذى , فهي إبداع , نعم عندنا نسخة مخطوطة من " الرسالة " للإمام الشافعي , فيها زوائد على ما ذكره مما وقف عليه من النسخ , لكن يبقى أنه إمام في باب التحقيق العلمي الدقيق .

نأتي إلى سنن أبي عبدالرحمن النسائي ، ورغم أهميته وما فيه من كم من أحاديث الأحكام، وما فيه من علل يشير إليها في تراجم الأبواب ، إلا أنه بحاجة ماسة إلى شرح متكامل يُعنى بالرجال والمتون والتصحيح والتضعيف ، يُعنى في الدرجة الأولى بهذه التراجم ، التي هي علل ، ويقيني أن هذه العلل التي أشار إليها في هذه التراجم هي العائق عن شرح الكتاب .

هناك شروح مختصرة للسيوطي " زهر الربي على المجتبي " وحاشية للسندي ، فيها إعواز كبير ، فما تفي بالعرض . هناك أيضاً شرح مطول جداً لمعاصر اسمه " ذخيرة العقبي في شرح المجتبي " للشيخ محمد بن علي آدم أثيوبي ، هذا مدرس في دار الحديث ، هذا شرح مطول جداً ، يعني يبلغ الأربعين مجلداً ، وذكر لي أنه عدل عن هذا الطول إلى النصف تقريباً ، وخرج منه تسعة مجلدات بشرح مطول جداً ، يأتي إلى الرواة فيترجم لكل واحد منهم ، ويذكر جميع ما قيل فيه ، وهذه أمور لا تنتهي ، لكن جَمَعَ مادة تنفع القارئ ، لاسيما في مثل هذا الكتاب الذي الأمة في حاجة ماسة إليه ، والساحة تكاد تكون معدمة من شرح يسعف طالب العلم . هناك أيضاً الحواشي السلفية على سنن النسائي ، مطبوعة في مجلد كبير في الهند ، ثم طبعت بعناية الشيخ أبي الأشبال في خمسة أجزاء ، فيها فوائد وطرائف ونفائس ، وكتب السنة حقيقة بحاجة إلى شروح تجمع الشروح السابقة ، وتصوغها صياغة يفهما طلاب العلم ، وأيضاً تضيف إليها ما استجد من حوادث ونوازل تدل عليها هذه الأحاديث ، يمكن أن تستنبط أدلتها من هذه الأحاديث والللمسته المستعان .

الحلقة الرابعة عشر

سادساً : " سنن ابن ماجه " , وهذا هو سادس الكتب عند الأكثر , وأول من أدخله مع الأمهات : أبو الفضل بن طاهر في شروط الكتب وفي أطرافه , وإن كان ابن الأثير وقبله رزين في " تجريد الأصول " جعلوا بدله الموطأ , وهناك من جعل " الدارمي " هو سادس الكتب , لكن بعد أبي الفضل بن طاهر كل الناس تتابعوا على جعل سنن ابن ماجه هو سادس الكتب لكثرة زوائده وفوائده , شروح سنن ابن ماجه كثيرة , لكن الموجود منها المطبوع قليل , منها شرح " مغلطاي " علاء الدين بن قليج الحنفي هذا شرح طويل ونفيس وماتع , إلا أنه لم يشرح المقدمة , ما شرح المقدمة التي في السنن فيها أكثر من ثلاثمائة حديث , تركها وبدأ من أبواب الطهارة , ثم أكمل العبادات إلى آخرها . شرح السيوطي اسمه " مصباح الزجاجة " مختصر جدا وطبع مختصره " نور مصباح الزجاجة " , فيما يقرب من مائة صفحة , انظر إلى شدة الإختصار! : شرح لكتاب كبير في مائة صفحة , شرح برهان الدين الحلبي سبط بن العجمي هذا لم يطبع , حاشية بن حسن السندي مطبوعة وفيها فوائد ولطائف , وهناك شرح زوائد سنن ابن ماجه لسراج الدين بن الملحق , وله أيضا زوائد النسائي , وزوائد أبي داود , وزوائد الترمذي , تصدى لهذه الزوائد فشرحها , شرح زوائد ابن ماجه في ثمانية مجلدات , فهو شرح مطول . إلى غير ذلك من الشروح التي لا يمكن استيعابها .

السائل : عفواً يا شيخ , سائل يسأل حول اسم ابن ماجه هل هو بالتاء أم بالهاء ؟ ويقول إنني تعبت في البحث عن تحقيق هذه المسألة .

الشيخ : ابن ماجه وابن منده وابن داسه كلها بالهاء في الوقف والمدرج , تقول : ماجه , منده , داسه , حتى في المدرج .

من أهل العلم من جعل السادس : الموطأ " موطأ الإمام مالك بن أنس " , وعلى هذا صنيع ابن الأثير في " جامع الأصول " وقبله رزين في " تجريد الأصول " , ومنهم من جعل السادس : ابن ماجه , تقدم الكلام عن ابن ماجه مع الكتب الخمسة السابقة , التي هي دواوين الإسلام المشهورة . الآن نتحدث عن موطأ الإمام مالك بن أنس , والموطأ كما هو معروف لإمام دار الهجرة مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي , إمام المذهب المشهور المعروف , نجم السنن , هذا الكتاب ألفه الإمام مالك رحمه الله تعالى وتلقاه عنه جمع غفير من أهل العلم , بحيث صارت له روايات متعددة , من أشهرها رواية يحيى بن يحيى الليثي , وعليها جلّ الشروح . ومنها رواية محمد بن الحسن , ومنها رواية أبي مصعب الزهري , والروايات كثيرة جدا يصعب حصرها , لكن أهمها ما يقرب من العشرين وهي مدونة ومعروفة يطول الكلام فيها , يهمنها رواية يحيى بن يحيى التي عليها الشروح , والتي عني بها أهل العلم , ومن أهم شروحها وأعظم تلك الشروح " التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد " للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري , كتاب عظيم مكث في تصنيفه ثلاثين عاما , وأودعه من نفائس العلوم والفنون ما يعجز اللسان عن وصفه , فالكتاب عني بالموطأ , وبأقوال مالك ومذهب مالك , وأشار إلى المذاهب الأخرى , وله اختيارات وترجيحات يخالف فيها مذهب الإمام رحمه الله , فابن عبد البر حافظ المغرب وهو إمام من أئمة المسلمين مكث في تصنيف هذا الكتاب ثلاثين عاما وقال عنه ابن حزم : إنه لا يعلم في الكتب في الكلام على فقه الحديث أنفس من هذا الكتاب , بل لا يعلم ما يمثله ولا يدانيه ولا يقاربه , هذا الكتاب رتبته ابن عبد البر على شيوخ الإمام مالك في موطئه , ولذا يصعب الوقوف على الأحاديث المرادة منه إلا بعد معرفة الشيخ , ثم الشيوخ رتبهم على حروف الهجاء على طريقة

المغاربة , وهي أيضا تختلف عن ترتيب طريقة المشاركة , فالصعوبة من جهتين من كونه مرتب على الشيوخ , ولو كان مرتب على الأبواب على ترتيب مالك رحمه الله لكان أولى , لكن هذه وجهة نظر الإمام ابن عبد البر, تمنينا طويلاً أن يرتب على ترتيب الموطأ , فخرج له ترتيبات كثيرة منها أول ما خرج له ترتيب " المغراوي " وهو من شيوخ المغرب , وهو ترتيب ابتكره , قدم فيه مسائل الاعتقاد وعناية الشيخ المغراوي بالعقيدة معروفة حفظه الله , لكن كنت أتمنى أن يرتب الكتاب على ترتيب الموطأ نفسه يمشي على أحاديث الموطأ .

فتمنيت أن يرتب على ترتيب الإمام مالك , فالكتاب إما أن يبقى على أصله ترتيب ابن عبد البر , أو يُرجع إلى أصل الأصل وهو ترتيب الإمام مالك رحمه الله , فخرج له أكثر من ترتيب بهذه الصفة تحقيقاً لهذه الأمنية , ومن أفضل ما وقفت عليه من هذه الترتيبات : ترتيب الشيخ عطية سالم رحمه الله وله عناية فائقة بالموطأ , وعناية بالإمام مالك على وجه الخصوص , فجاء ترتيبه على الوجه المناسب , وهو من أهل الخبرة بالموطأ وله معرفة بكتب ابن عبد البر . وترتيب الشيخ عطية سالم طبع قبل ثمان أو تسع سنوات . وهو الذي رتبته بيده مشي على الموطأ , ولما كانت طباعة " التمهيد " لابن عبد البر قد طالت حتى استغرقت خمس وعشرين سنة , فكان الشيخ رحمه الله كل ما يخرج جزء يرقم الحديث برقم الموطأ , ثم بعد ذلك يرتب هذه الأحاديث , ثم إذا خرج الثاني أضاف ما فيه من أحاديث على الطريقة التي اتبعها , ثم خرج كتاب " التمهيد " مرتباً ترتيب الموطأ , وهذا عمل جليل , وقد يبدو في ظاهر الأمر أنه ليس بشيء مجرد تقديم وتأخير و ترتيب , لكنه عمل جيد مفيد يفيد طالب العلم كثيراً . الإمام ابن عبد البر عني بشرح الأحاديث المرفوعة في هذا الكتاب , وأبدع في كتابه , وكملة بكتاب آخر أسماه " كتاب الاستذكار في بيان مذاهب فقهاء الأمصار " أي من خلال الموطأ شرح فيه الأحاديث

المرفوعة والموقوفات , وأشار إلى أقوال مالك , وأقوال غيره من أهل العلم , فالاستذكار جاء تكميلاً للتمهيد الذي هو لما في الموطأ من المعاني والأسانيد , معاني وأسانيد هذا " التمهيد " , هذه الصفة الغالبة , وفيه كلام على فقه الحديث كثير, لكن الكلام على الأحكام في " الاستذكار " أظهر , وهما كتابان متكاملان فلو جمع بينهما . والمحقق " للاستذكار " نقل بعض النقول مما يحتاج إليه من " التمهيد " فطال الكتاب جداً حيث خرج في ثلاثين جزءاً . وهو أقصر من التمهيد .

من أهم شروح الموطأ أيضاً " المنتقى " لأبي الوليد الباجي , وهو من كبار المالكية يفيد منه طالب العلم فائدة جيدة , من شروحه أيضاً شرح الزرقاني , فهو أيضاً كتاب نافع ومفيد , وشرح مختصر جداً للسيوطي اسمه " تنوير الحوالك " .

" ولي الله الدهلوي " نظر إلى الموطأ فوجد فيه أقوال مالك , فأضاف إليه أقوال أبي حنيفة والشافعي وسماه " المسوى " , فجاء شرحه المختصر جداً جامعاً للمذاهب الثلاثة وتولينا شرح المسوى مدة , أضفنا إليه مذهب الإمام أحمد .

السائل : ولم يكتمل عملكم يا شيخ ؟
الشيخ : لا ما اكتمل المشاريع كثيرة والله المستعان .
هناك شرح مطول طبع في ستة مجلدات في الهند , ثم طبع في خمسة عشر جزءاً اسمه " أوجز المسالك " هذا الكتاب مع أن مؤلفه متأخر , إلا أن جودته تظهر في رجوع المؤلف إلى كتب أصحاب المذاهب , يعني لو جئنا إلى الشروح مثل " فتح الباري " أو " عمدة القارئ " أو غيرها من الشروح , أو كتب التفسير التي تنقل أقوال الفقهاء مثلاً , تجدهم ينقلون عن ينقل المذهب , فلا تثق بهذا النقل لا من جهة الخلل في أمانة مؤلفه , لكن قد ينقل رواية غير معروفة في المذهب , رواية عن الإمام غير معتبرة في المذهب , يعني

مرجوحة , تعرف أن المذاهب فيها روايات , والشافعي عنده أقوال , وأحمد عنده روايات وهكذا , فهذا الكتاب عني بهذا عناية طيبة , فصار ينقل المذاهب من كتب أصحاب المذاهب , فهذه فائدته , وهو كتاب موسع في خمسة عشر جزءاً .

السادس , أي سادس الكتب علي قول : (هو سنن الدارمي) وهو كتاب نافع وماتع , وفيه أحاديث عوالي كثيرة لتقدم مؤلفه , فهو شيخ لأصحاب الكتب , فيه عوالي والعوالي يعني بها أهل العلم , وفيه زوائد أيضاً , إلا أن زوائد ابن ماجه أكثر , ولذا صارت العناية به أكثر , لا أعرف له شرحاً عند المتقدمين , إلا أنه خرج له شرح متأخراً جداً , ولا يسلم من ملاحظات كبيرة .

الحلقة الخامسة عشر .

هناك أيضاً الكتب التي رتب على الأبواب , وتأتي بعد الصحيحين و السنن , كصحيح ابن خزيمة, وصحيح ابن حبان , ومستدك الحاكم , وسنن البيهقي , ومنتقى ابن الجارود , هذه كتب مهمة لطالب العلم , ينبغي أن يعنى بها لاسيما سنن البيهقي , الذي جمع , فهو بحر محيط يحتاجه الفقيه , ولا يستغني عنه طالب علم , ففيه أدلة المذاهب كلها , وإن كان نَفَس البيهقي شافعي , وتراجمه تؤيد في الغالب مذهب إمامه , لكنه يذكر في الباب كل ما يقف عليه , فهو كتاب عظيم , فإذا ضم سنن المبيهقي إلى الكتب الستة , وأفيد من الكتب التي ذكرت : صحيح ابن خزيمة , وابن حبان , ومستدرك الحاكم , ومنتقى ابن الجارود , والدارمي , يكون طالب العلم حينئذن أنهى ما يحتاج إليه من الكتب المبوبة والكتب المبوبة التي رتب على الأبواب يقدمها أهل العلم على المسانيد , مهما جلت إمامة صاحب المسند , كمسند الإمام أحمد , ولذا يقول الحافظ العراقي رحمه الله تعالى :

ودونها في رتبة ما جعل على المسانيد فيدعى الجفل

ويعني بدونها السنن . لأن صاحب السنن يترجم بحكم شرعي , فيحرص على أن يستدل لهذا الحكم الشرعي بأقوى ما عنده من الأدلة , بينما صاحب المسند يترجم بترجمة راوي صحابي فيقول : أحاديث أبي بكر الصديق فيجمع ما وقف عليها من أحاديث هذا الصحابي , لأنه لا يستدل بحكم شرعي ولذا تأخرت رتبته , وإن كان مسند الإمام أحمد على وجه الخصوص مقدم عند جمع من أهل العلم , ومعتنى به من الحنابلة وغيرهم , فالحافظ ابن كثير وهو شافعي المذهب يستظهر المسند , فشرط الإمام أحمد في مسنده لا يقل عن شرط أبي داود كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية , مع أن شرط أبي داود أقوى من شرط بقية

السنن , " مسند الإمام أحمد " من دواوين السنة الجامعة , نعم ترتيبه على المسانيد عاق الإفادة منه عند كثير من طلاب العلم , فلو رتب على الأبواب وترجم لأحاديثه. وقد حصل أن رتب من قبل جمع ممن تقدم كابن عروة المشرقي , وأيضاً الساعاتي في " الفتح الرباني " . وشرح ترتيبه عن الساعاتي بحاشية , في أولها تستطيع أن تسميها شرح , لكن في منتصفها الثاني أو قبله هي حاشية , واسم هذا الشرح " بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني " . أيضاً الشيخ عبدالله القرعاوي له ترتيب للمسند اسمه " المحصل " وهو كتاب جيد يفيد منه طالب العلم . فأقول ترتيب المسند على هذه الطريقة جعلت كثير من طلاب العلم لا يعنون به , مع أنه ينبغي أن يكون محط عناية لإمامة مؤلفه ولجمعه , فهو يجمع من الأحاديث ما يقرب من ثلاثين ألف , وإن قال المترجمون أن فيه أربعين ألف , لكن واقعه لا يصل إلى الثلاثين .

السائل : لكن الصعوبة هي في البحث فيه فكيف يمكن أن يتخطاها طالب العلم , فإذا كان عنده حديث عن أبي هريرة , وأبو هريرة رضي الله عنه أكثر , فكيف يمكن أن يحصل على الحديث من مسند الإمام أحمد؟

الشيخ : عن طريق المعجم المفهرس لألفاظ الحديث , ومن طريق أطراف المسند للحافظ ابن حجر . المسند عليه حواشي للشيخ أحمد شاكر نافعة يفيد منها طالب العلم , وغالبها في الرواية أي في جرح وتعديل الرواة , وإن ظهر تساهله رحمه الله وصح بعض الأسانيد التي لا تصل إلى درجة الصحة . وعلى طالب العلم أن يعنى بكتب أحاديث الأحكام ومن أهمها : العمدة , والمحرر , والبلوغ , والمنتقى , والإمام , وغيرها من الكتب التي ألفها أهل العلم لتقريب هذه الأحاديث لطلاب العلم , ولذا جردوها عن الأسانيد , وأتبعوها بعزو مختصر وأحكام مختصرة تناسب الحفظ ,

وهذه الكتب كلها مشروحة , " العمدة " لها شروح كثيرة جدا , و " المحرر " عناية الناس به أقل من البلوغ , وإن كان " المحرر " عندي أنفس وأتقن , " البلوغ " عني به الناس ودرسه وشرحوه وله شروح كثيرة متداولة .

" المنتقى " أيضاً عني به الناس وشرحوه , مع كثرة أحاديثه . " والإمام " لابن دقيق العيد , شرحه مؤلفه في كتاب من أعظم كتب شروح كتب أحاديث الأحكام اسمه " الإمام شرح الإمام " و لابن دقيق العيد أيضا كتاب آخر اسمه " الإمام " بين فيه علل الأحاديث , وطول فيه جداً , ينبغي لطالب العلم المتقدم لا المبتدي أن يعني بكتب العلل , كعلل " علي ابن المديني " و " ابن أبي حاتم " و " الدارقطني " و " علل الترمذي " الكبرى والصغرى , ويراجع ما كتب عليها من تنبيهات وشروح وتخاريج , يفيد منها ويسأل عما يشكل عليه , وأيضا يعني بكتب مشكل الحديث , لأنه يوجد إشكالات في الأحاديث تحلها كتب المشكل , ويراد بمشكل الحديث : اختلاف الحديث , ومختلف الحديث يراد به التعارض بين الأحاديث , فهذه الكتب كفيلة بحل هذا التعارض وإزالة التعارض , والتعارض إنما هو في الظاهر فلا يوجد حديثان صحيحان متعارضان تعارضاً حقيقياً , لأنه كلام من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم , ولكن فيما يظهر ويبدو للقارئ . ثم بعد هذه الكتب : كتب اختلاف الحديث تزيل هذا الإشكال . عليه أيضا أن يُعني بكتب غريب الحديث , التي هي بمثابة شرح ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي , و " غريب الحديث " غير " الغريب من الحديث " , فغريب الحديث شرح المشكل من الألفاظ , ومشكل الحديث واختلاف الحديث في التعارض الظاهر , أما الغريب من الحديث : ما يتفرد به راوي واحد فذاك في المتن وهذا في الإسناد , ومن أهم ما كتب في غريب الحديث : " غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام " وهو إمام في هذا الباب , وأيضا " غريب الحديث لابن قتيبة " و " الفائق "

للزمخشري ، وهو إمام في العربية وإن كانت البدعة أثرت على بعض كتبه ، أيضا ابن الأثير وكتابه " النهاية " كتاب جامع بين كتب من تقدم ، فكتب الغريب في الحقيقة كثيرة جداً لكن هذه من أهمها لأبي عبيد وابن قتيبة والزمخشري وابن الأثير . ومن أراد أن يقتصر على كتاب واحد لضيق ذات اليد ، أو لضيق المكان ، وما أشبه ذلك ، فعليه " بالنهاية " لابن الأثير، وله ملخص اسمه " المدر النثير" للسيوطي .

الحلقة السادسة عشر

طالب العلم عليه أن يطلع على كتب الموضوعات , وهي المكذوبة المختلقة على النبي صلى الله عليه وسلم , لئلا يروج بعضها عليه , وكانت عناية المتقدمين بها فائقة , فالبخاري رحمه الله تعالى يحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح , فمعرفة مثل هذه الأمور لئلا يغتر بها الناس , فكتب الموضوعات مثل : " الموضوعات " لابن الجوزي على تساهل في شرطه , حيث أدخل بعض الأحاديث التي لا تصل إلى درجة الوضع , فأحاديث ضعيفة كثيرة دخلت في الكتاب لا تصل إلى درجة الوضع , بل أحاديث حسنة دخلت بل صحيحة لكنها قليلة , يقول الحافظ العراقي رحمه الله تعالى :
وأكثر الجامع فيه إذ خرج لمطلق الضعف عنى أبا الفرج

يعني ابن الجوزي . وهنا كتاب " اللآئى المصنوعة " مأخوذ من " موضوعات " ابن الجوزي وغيره , وهو أقرب منه إلى الدقة في الحكم على الحديث بالوضع , وكتاب " الأسرار المرفوعة " لعلي قارئ , و " الفوائد المجموعة " للشوكاني , المقصود أن هذا الموضوع صُنف فيه كثيرا وعلى طالب العلم أن يعنى به .

أيضا يعنى بكتب علوم الحديث من أولها كتاب " المحدث الفاصل " للرامهرمزي , نعم الكتاب لم يستوعب باعتباره من اللبانات الأولى في التأليف في هذا الفن , وطبيعي أن أول شخص يؤلف يحصل عنده نقص ثم يُكْمَل فيما بعد , و " معرفة علوم الحديث " للحاكم كتاب نفيس يُعنى به طالب العلم , وإن قال الحافظ ابن حجر : إنه لم يهذب ولم يرتب قال في مقابل ذلك ابن خلدون في مقدمته الشهيرة : إنه أول من هذب هذا العلم ورتبه , ابن حجر يقول : لم يهذب ولم يرتب , وابن خلدون يقول : أول من هذب ورتب , فهل

في هذا تعارض ؟ نعم فكيف يدفع مثل هذا التعارض ؟
كلامهما صحيح يمكن تنزيله بأن : " لم يهذب ولم يرتب " بالنسبة لمن جاء بعده , فالذين جاءوا بعده أكثر ترتيباً وتهذيباً , لكن إذا نظرنا إليه بالنسبة لمن ألف في الفن قبله فهو " أول من هذب ورتب " على كلام ابن خلدون فلا تعارض .

ومن الكتب المهمة في الباب كتاب " الكفاية " للخطيب وفيه قوائين الرواية , كتاب مفيد ونافع , بالأسانيد , والخطيب له في كل باب وفي كل نوع من أنواع علوم الحديث مصنف خاص , حتى قال ابن نقطة : " كل من أنصف عرف أن أهل الحديث عيال على كتب الخطيب " , وإن ناله من ناله من بعض المتأخرين من أنه خلط هذا العلم وأدخل فيه أصول الفقه ومزج بينها وعلم أصول الفقه متأثر بعلم الكلام , كل هذا لا يحط من قيمة الكتاب ولا من إمامة مؤلفه , للخطيب بالمناسبة كتاب في غاية الأهمية لطالب العلم اسمه " الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع " كتاب يتعين على طالب العلم أن يطلع عليه , والتأدب بآداب أهل العلم , لما نرى من وجود شيء من الغلظة والجفوة بين طلاب العلم , لا أقول هذا موجود بكثرة لكنه موجود , فغالب طلاب العلم ولله الحمد أخذوا العلم من أبوابه وتحلوا بآدابه , لكن يوجد بين طلاب العلم من ينصح بقراءة مثل هذا الكتاب , فإذا قرأنا لمثل هذا الكتاب , وقرأنا " جامع بيان العلم وفضله " لابن عبد البر , و " فضل علم السلف على الخلف " لابن رجب , وطالب العلم عليه أن يقرأ مقدمة الخطيب لكتاب " موضح أوهام الجمع والتفريق " ليعرف كيف يتعامل مع الكبار , أيضا بعد " الكفاية " يقرأ " علوم الحديث " لابن الصلاح هذا الكتاب الذي لما كتبه ابن الصلاح جمع فيه غالب مؤلفات الخطيب , واطلع على كتب من تقدم : الرامهرمزي والحاكم وغيرها , من الكتب التي صنفت في هذا الباب , ورتب الباب ترتيباً بديعاً , وإن كان

يحتاج بعض الأبواب إلى تقديم وتأخير لكنه جمع , فاشتغل الناس به فكان قطب رحى دار حوله الناس حتى قال الحافظ : " لا يحصى كم ناظم له ومختصر ومستدرک عليه ومقتصر ومعارض له ومنتصر " , فالكتاب اختصر مرارا , وشرح مرارا , ونظم مرارا , نظمه كثير , وشرحه كثير , وعلق عليه , ونكتوا عليه وأيضا اختصروه , فهناك مختصرات للنووي وابن كثير وغيرهم , وهناك حواشي للحافظ العراقي , والحافظ ابن حجر , وبرهان الأبناسي , والزرکشي وغيرهم .

أما النظم فقد نظمه الخويني في ألف وخمسمائة بيت , ونظمه أيضا الحافظ العراقي في ألفيته الشهيرة التي عني بها الناس وشرحوها شروح كثيرة , هناك أيضا ألفية السيوطي , والمفاضلة بين الألفيتين يطول التصدي لها في مثل هذه الحلقة , وإلا فالسؤال عنها كثير , وأقول بكلام موجز مختصر : ألفية العراقي عندي أرجح من وجوه , والبسط لا يحتمله هذا المقام . هناك أيضا " توضيح الأفكار " للصنعاني كتاب نفيس , يحتاج إليه طالب العلم . هناك أيضا " نخبة الفكر " للحافظ بن حجر وشرحها كثيرة , وأيضا " تدريب الراوي " للسيوطي كتاب جامع جمع فيه كثير مما يحتاجه طالب العلم , وللمتأخرين أيضا مشاركة طيبة مثل " توجيه النظر " للجزائري , و" قواعد التحديث " للقاسمي وغيره .

يحتاج أيضا طالب العلم لكتب الرجال , ككتب السؤالات للأئمة , وهذه معروفة عند أهل الحديث , يسألون عن أحاديث , يسألون عن رواة ويجيبون بكلام لا يستغني عنه طالب العلم , لأن هؤلاء الأئمة هم العمدة , وعليهم المعول في هذا الباب , فيحتاج الطالب إلى كتب السؤالات , وكتب التواريخ , كتواريخ البخاري وابن أبي خيثمة , وتواريخ الإمام يحيى بن المعين , و" الجرح والتعليل " لابن أبي حاتم ,

وطبقات ابن سعد , و " الثقات والمجروحين " لابن حبان , و " الكنى " للإمام مسلم , و " الكمال " للحافظ عبدالغني وما دار في فلكه , " فالكمال " جمع رجال الكتب الستة فدار الناس في فلكه , فألف الحافظ المزي " تهذيب الكمال " فأوفى على الغاية وبلغ النهاية في هذا الكتاب بحيث ألقى الأصل . ثم ذهبه المذهبي في " تذهيب تهذيب الكمال " و " الكاشف " له أيضاً مختصر , وهناك أيضاً " الخلاصة للتذهيب " للخزرجي , وأيضاً الحافظ ابن حجر له مساهمة قوية في الباب , له " تهذيب التهذيب " وله أيضاً " التقريب " وله أيضاً كتب في هذا الباب يطول ذكرها .

من أهم كتب الرجال كتاب " الكامل " لابن عدي من أنفس ما يحتاجه طالب العلم في هذا الباب , وميزته أنه يذكر في ترجمة كل راوي ما يستغرب وما ينكر من مروياته وما يعل , أيضاً " الميزان " للذهبي وهو ملخص للكامل و فيه إضافات للحافظ المذهبي , و " لسان الميزان " وهو ملخص من " الميزان " لابن حجر وهناك " الضعفاء " للعقيلي , أيضاً يحتاج الطلاب لتواريخ البلدان , فقد لا يجد الترجمة في كتب الرجال المعروفة فيضطر أن يرجع إلى تواريخ البلدان , ومن أهمها " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي , و " تاريخ دمشق " لابن عساكر , و " تاريخ جرجان " للسهمي , و " تاريخ أصفهان " لأبي نعيم . على كل حال هذه كتب يحتاج إليها طالب العلم , فقد يكون الراوي من أهل هذه البلاد , فينتبه له صاحب التاريخ ويغفل في كتب التراجم لقلة ما روى مثلاً , فلا يعنى به أهل العلم لندرة ما روى , لأنه قد يرد في شاهد , وقد يرد في متابع فلا يعنى به من يتصدى للتصنيف في كتب الرجال أصالة , لكن كتب تواريخ البلدان , هو بصدد أن يترجم لعلماء هذه البلاد فينقب عنها

السائل : ويحكمون في كتب التواريخ على الرجال ؟

الشيخ : نعم يبينون ما لهم وما عليهم , وهذه ميزتهم .

هناك كتب في الكنى والأنساب والألقاب , وكتب في المشتبه والضبط , لا يستغني عنها طالب العلم , يطول المقام لبسطها , فلعلنا نكتفي بهذا القدر فيما يتعلق بالحديث لضيق الوقت .

السائل : لعلنا نأخذ إذا تكرمتم يا شيخ ما يتعلق بكتب العقيدة على الأقل نأخذ كتب العقيدة .

الشيخ : بالنسبة للعقيدة وينبغي لطالب العلم العناية بها لأهمية العقيدة , العقيدة هي الأصل , والأصل أن اعتقاد المسلم مأخوذ من الكتاب والسنة , ولذا قدمنا الكلام على ما يتعلق بالكتاب والسنة , وإلا فالعقيدة هي الأصل , وهي ما يعقد عليه القلب مما يجب لله عز وجل , فيبدأ الطالب بمختصرات شيخ الإسلام الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله مثل : " الأصول الثلاثة " و " القواعد الأربعة " و " كشف الشبهات " و " التوحيد " وما كتب عليها من شروح وما سجل عليها من دروس , فينبغي لطالب العلم أن يعنى بها ويحضر الدروس التي تقام لشرحها , فيبدأ بالأصول الثلاثة والقواعد الأربعة وكشف الشبهات والتوحيد وشرح كتاب التوحيد , لأهمية الموضوعات التي طرقها الشيخ عليه رحمة الله مثل : " تيسير العزيز الحميد " و " فتح المجيد " و " قرة عيون الموحدين " و " إبطال التنديد " , وشرح المشايخ المعاصرين كالشيخ ابن باز وابن عثيمين والفوزان وغيرهم , المقروءة والمسموعة , فطالب العلم عليه أن يعنى بها عناية فائقة , أيضا يعنى بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وكتب ابن القيم يعنى " بالواسطية " و " الحموية " و " التدمرية " و " شرح الأصفهانية " وهذه من كتب شيخ الإسلام وعليها شروح وتعليقات , وللعلماء بها عناية إقراء وتدريساً وتقريراً , فالواسطية شرحت شروح كثيرة , منها للشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد توفي رحمه الله والكتاب من أنفس الشروح , وأقدمها أيضا الشيخ زيد الفياض له

شرح اسمه " الروضة الندية " شرح طيب استقاه من كتب شيخ الإسلام وابن القيم , الشيخ ابن عثيمين له أيضا شرح على الواسطية , والشيوخ كلهم لهم شروح على الواسطية لأهميتها , المؤلف رحمه الله برع في تقديم عقيدة السلف في أبواب مهمة من أبواب العقيدة بأبسط عبارة وأيسرها , من نصوص الكتاب والسنة , وبين وسطية مذهب أهل السنة من بين سائر الفرق , فيذكر الطرفين طرفي النقيض ويخلص من هذين الطرفين إلى أن مذهب أهل السنة وسط بين هذين الطرفين .

السائل : بعض الذين قاموا بتدريس هذه المادة أخرجوا مجموعة من الكتب في هذه العقيدة, بعضها وُضِعَ على شكل سؤال وجواب تسهيلاً لفهم هذه العقيدة .
الشيخ : هذا معروف , والشيخ ابن سلمان له سؤال وجواب على العقيدة الإسلامية . نعم , هم يضعون أسئلة لطلابهم كي يجيبوا عنها من خلال الشرح , وهذه طريقة معروفة . كتب شيخ الإسلام مهمة جداً كالواسطية , والحموية والتدمرية والقواعد التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى لا يستغني عنها طالب علم , شرح " الأصفهانية " أيضا من الكتب التي ينبغي أن يعنى بها طالب العلم , و " مجموع الفتاوى " من الأول إلى التاسع مهم بالنسبة لطالب العلم أيضا , " منهاج السنة " كتاب مبسوط لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى , رد فيه على الرافضة بأقوى عبارة بالاستدلال بالكتاب والسنة , وبالنقول من كتبهم , وفيه من العلوم ما لا يعرف قدره إلا من قرأ الكتاب , وعندنا مدونات فوائد من هذا الكتاب في كل فن , أيضا لشيخ الإسلام " درء تعارض العقل والنقل " وله أيضا " نقض التأسيس " وهذه من الأعاجيب , من أعاجيب المصنفات درء تعارض العقل والنقل يقرر شيخ الإسلام في هذا الكتاب الكبير عشرة مجلدات بين فيه ويقرر أنه لا يمكن أن يحصل التصادم بين العقل الصريح والنقل الصحيح . يستشكل بعض الناس لكن

هذا سببه لوثة في عقله وتأثر في فهمه .

السائل : هل خُدم الكتاب ؟
الشيخ : نعم خدم و طبع " درء التعارض " و " منهاج
السنة " بتحقيق الشيخ محمد رشاد سالم بإشارة من
الجامعة المباركة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
يقول ابن القيّم :
اقرأ كتاب العقل والنقل الذي ما في الوجود له نظير ثاني
لكن من ينبري لفهم جميع ما كتبه الشيخ رحمه الله
تعالى نعم و كذلك " التأسيس " .

السائل : نذكر في دراستنا يا شيخ أخذنا ما يقارب ستين
صفحة من " درء التعارض " تعتبر فصل دراسي كامل
بالنسبة لنا ولن نستطيع حتى فك بعض رموزه .
الشيخ : بل فيه موضوعات وصفحات بالمئات يطويها
طالب العلم , ومزّ علي في " منهاج السنة " في الجزء
الأول ثلاثمائة صفحة أنا قرأتها , لكن لا أوصي طالب العلم
بقراءتها , وفي الجزء السادس أيضا كذلك صفحات يطويها
طالب العلم , يصعب عليه فهمها " نقض التأسيس في الرد
على أساس التقديس " كتاب عظيم جدا حقق في ثمان
رسائل دكتوراه , يعني شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وهو
يكتب هذا الكتاب لا أتصور أن الكتاب أخذ عليه شهر ,
والكتاب حقق في أربعين سنة , يعني ثمان رسائل , وكل
رسالة في خمس سنوات أو أربع سنوات , يعني ما يقرب
من أربعين سنة .
وكذلك التأسيس أصبح نقضه أعجوبة للعالم الرباني
ومن العجائب أنه بسلاحهم أرداهم تحت الحضيض الداني

بسلاحهم : أي بمنطقهم , وبعلمهم : علم الكلام الذي
جلبوه للأمة , نقضهم بكلامهم رحمة الله عليه , فكتب شيخ
الإسلام لا يستغني عنها طالب علم , وإن قال فيه بعض من
قال نظراً لضعف إدراكه , ونظراً للوثة في عقله ما قال عن

شيخ الإسلام , سواء كان شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أو شيخ الإسلام ابن تيمية , ونرى ونسمع من يقدح في هذين الإمامين , والسنة الإلهية تقتضي هذا , فلا بد من حساد ولا بد من أعداء , الذات الإلهية ما سلمت " يؤذيني ابن آدم ... " النبي صلى الله عليه وسلم تكلم فيه الناس , هؤلاء يتكلم فيهم الناس من باب الحسد , ومن باب العداوة وتقليد الشيوخ , ومن باب الاستئثار , فبعض الأقلام مأجورة , فمثل هذا الكلام لا يجب أن يلتفت إليه .

وينبغي أن يتصدى له أهل السنة بكل ما أتوا من قدرة , أيضا تكلم فيهم الناس لما يريد الله عز وجل من رفعة لمنازلهم , تجري لهم أعمالهم وهم موتى , إضافة إلى ما دونه في كتبهم وانتفع به الناس منهم . كتب ابن القيم أيضا لا يستغنى عنها طالب العلم , " النونية " لابن القيم كتاب نفيس فيه عقيدة السلف , وحقق في أربع رسائل ماجستير في قسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود , أيضا " مدارج السالكين " كتاب مفيد في أدواء القلوب , ولا يسلم من ملاحظات يسيرة لكنه كتاب نافع , علق عليه الشيخ حامد الفقي وشدد في العبارة أحيانا علي ابن القيم بكلام لا ينبغي أن يقال في جنابه , المقصود أن ابن القيم ليس بمعصوم , وحاول رحمه الله أن يقرب الكتاب الأصل المشروح , و يدنيه لطلاب العلم ويتكلم على ما فيه من ملاحظات ولم يسلم رحمة الله عليه والكتاب نفيس , والأشياء التي تلاحظ على هذا الكتاب مغمورة في بحار ما فيه من علم جم , وفيه أدوية للقلوب المريضة , وأيضا " إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان " كتاب أبدع فيه الإمام ابن القيم , كتاب مبدع حقيقة لا يستغنى عنه طالب علم , فعلى طالب العلم أن يعنى به . وكتاب " بدائع الفوائد " أودع فيه ابن القيم من الفوائد من كل فن , وهو مطبوع في أربعة أجزاء , و" الفوائد " أيضا لابن القيم فيه نفائس ولطائف واستنباطات , يعني يذهل الإنسان حين يقرأه فيما يستنبطه ابن القيم من النصوص رحمة الله عليه , وأيضا "

إعلام الموقعين عن رب العالمين " وسواء قلت إعلام أو
أعلام كله صحيح , والموقعون هم المفتون عن الله جل وعلا
, فإن أردت إعلام الموقعين : فابن القيم يعلم ويخبر
الموقعين بما يجب عليهم من شروط للفتوى و آدابها , وإن
قلت أعلام : فابن القيم ذكر فيه أعلام المفتين من النبي
صلى الله عليه وسلم إلى عصره . وكذلك " زاد المعاد في
هدي خيرالعباد " كتاب نفيس لا يستغني عنه طالب علم ,
ألفه الإمام ابن القيم في حال السفر وليست له عدة .
هناك الكتب المسندة وهي كتب العقيدة القديمة ,
وسأحدث عنها إن شاء الله .

الحلقة السابعة عشر

إتصلنا بالشيخ ناصر الحنيني عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين قسم العقيدة .

قال الشيخ عبدالكريم : عندنا الآن كتب العقيدة المسندة للمتقدمين " كالرد على الجهمية " , و " السنة " للإمام أحمد , وابن أبي عاصم , والخلال , و " شرح اعتقاد أهل السنة " و " التوحيد " ابن خزيمة , " الشريعة " للأجري , و " الرد على بشر " , الردود على المخالفين , يأتي الحديث عنها , وإن أعفانا الشيخ ناصر وذكر شيء منها باعتباره متخصص في هذه الحقبة فجزاه الله خيراً .

قال الشيخ ناصر : بعد أن حمد الله وأثنى عليه , وشكر الشيخ عبدالكريم الخضير , وأثنى على جهده في هذا الموضوع , قال أنا أود أن أنبه إلى قضية مهمة وقبل أن أدخل في مواضع كتب العقيدة : أن السلف رحمهم الله تركوا لنا تراثاً ضخماً جداً لا يمكن أن يوازي بأي حضارة أو تراث موجود على وجه الأرض , ولا أدل على ذلك مما نشاهده الآن في كل مكتبات العالم مما تركوه لنا من مخطوطات , والتي أخرج منها الآن إنما هو نزر يسير , والسلف رحمهم الله تركوا لنا حضارة كبيرة مما يدل على اعتنائهم بالعلم , وأي أمة اعتنت بالعلم واهتمت بالعلم كما كان سلفنا فسوف تحوز السبق على غيرها من الحضارات . الأمر الآخر: السلف رحمهم الله وهو أنهم لما بدأوا يدونون السنة دونوها تدوينا عاما شاملا وبدأ على هيئة المسانيد كما ذكر فضيلة الشيخ لكن كان منطلقهم بذلك أمرين , الأمر الأول: أن غرضهم الحفظ . والأمر الثاني : أنه كان اعتقادهم وكان منهجهم أن ذلك كله دين من عند الله , فلم يفرقوا بين عقائد ولا أحكام كله يأخذه دين الله عز وجل , ودين

يتدينون لله عز وجل به . متى ظهر التفريق بين كتب العقائد والحديث وغيرها ؟ لما ظهرت البدع وبدأوا يصنفون فيها اضطرت السلف رحمهم الله وكان هذا اضراً منهم أن جعلوا أول مرحلة من مراحل التدوين أن ألحقوا بكتب السنة مثل الكتب الستة وغيرها أبواب ، فخصصوا كتباً وأبواباً في الاعتقاد والرد على المخالفين ، وهذا أمر تكلم عنه الشيخ في " كتاب التوحيد " و " كتاب الإيمان " في مسلم البخاري وغيرها ولا نريد أن نتكلم عنه. بعد ذلك السلف رحمهم الله لما إشتدت قوة أهل البدع ، وبدأوا يصنفون ، لاسيما المعتزلة - وأنا أشير إلى المعتزلة لأنهم أكثرها جداً من التصنيف - فالسلف رحمهم الله مما يدل على فقههم وذكائهم وفطنتهم ورسوخ علمهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي ، بل إنهم واجهوا هذه الوسيلة الإعلامية الضخمة وهي الكتاب بأن تفننوا في التأليف ، فبدأوا في أفراد كتب في الاعتقاد ، وكان أمراً عجباً فنجد أن السلف رحمهم الله صنّفوا مصنفات شاملة في كل أبواب الاعتقاد ، منها المختصر كرسائل مختصرة مثل رسالة الإمام أحمد في الاعتقاد ، ومثل رسالة الإمام البخاري في الاعتقاد ، ورسالة الإمام الثوري في الاعتقاد ، وهذه كلها مودعه فمن أراد أن ينظر إليها في المجلد الأول من " شرح أصول إعتقاد أهل السنة " للالكائي ، ثم بعد ذلك تطوروا فكبروا وتوسعوا وجعلوا هناك مصنفات شاملة بأحاديث مسندة واستدلالات وردود ، مثل كتاب " السنة " لعبدالله ابن الإمام أحمد ، ومثل كتاب " السنة " لابن أبي عاصم ، وكان هذا كله في الحقبة الأولى ، وهي القرون الثلاثة الأولى ، وبهذه المناسبة فكتاب " السنة " لابن أبي عاصم هذا أعجوبة ، وأنا لم أجد أحداً من الباحثين أشاد به ، كتاب " السنة " لابن أبي عاصم أنا أستطيع أن أشبهه بكتاب البخاري ، فقد بوبه على أبواب تفصيلية وأودع فيه فقهاً واستنباطاً وردوداً على أهل البدع، شيء عجيب بل إنه كان يودع أبواباً مرسله مثل الإمام البخاري ، يقول " باب " ولا يجعل له ترجمة ، وقد حصرتها

فوجدت أن فيها من الفوائد والاستنباطات شيئاً عظيماً ,
وكمثال لما أورد الحديث المشهور عن ابن عباس رضي الله
عنه لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: " يا غلام إني
أعلمك كلمات " الحديث , المشهور والمعروف في كتب
السنة وغيرها أنه عن ابن عباس وأنها وصية النبي صلى الله
عليه وسلم لابن عباس , الإمام ابن أبي عاصم أورد الحديث
المشهور , لكنه عقد باباً مستقلاً وقال " باب " مرسلات
أورد فيه هذا الحديث ليس عن ابن عباس وإنما عن جعفر
ابن أبي طالب , وهذه فائدة وأراد أن ينبه إليها فائدة
وأفرده لوحده , وكذلك كان الإمام رحمه الله ابن أبي عاصم
إذا كان الحديث فيه كلام وفي النفس منه شيء أو يكون
فيه ضعف شديد , كان يفرد به باباً مستقلاً في آخر الباب
وغیرها من الفوائد . بعد ذلك انتقل السلف رحمهم الله
وصنفوا في كتب عامة كتاباً كبيراً من كتب الاعتقاد , مثل أن
يؤلفوا في " الإيمان " كتاباً مستقلاً أو في " الأسماء
والصفات " , فظهر لنا مثل كتاب " الإيمان " لأبي عبيد
القاسم بن سلام , وكتاب " الإيمان " لابن أبي شيبة وكتاب
" الإيمان " لأبي عمر العدني وغيرهم , ثم بعد ذلك زادوا
وتفننوا فأفردوا مصنفات في مسائل معينة ليست في أبواب
وإنما في مسألة , مثل كتاب " إثبات صفة العلو " لابن
قدامة وهذا متأخر , لكن هناك " كتاب خلق أفعال العباد "
وهي مسألة جزئية من أبواب القدر , وهذا أيضاً كتاب أشيد
به لأنه كتاب عظيم فيه من فقه الاستنباط والردود على
المخالفين وكثرة الاستدلال ما لا يوجد في كتاب مثله , ثم
إنهم انتقلوا إلى الطريقة التي بعدها وهي أنهم أفردوا كتباً
في الرد على المخالفين , وأنا أريد أن أشيد بكتابين
عظيمين لا يستغني عنهما طالب علم , وهما " كتاب الرد
على الجهمية " للإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله , وكتاب "
الرد على بشر المريسي " للإمام الدارمي , أما كتاب الرد
على الجهمية للإمام أحمد فهذا الكتاب العظيم أقول إنه -
وللأسف الشديد - لم يعتن به عناية فائقة في إخراجهِ وفي

تحقيقه , وهذا الكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله
أثنى عليه ثناء عاطراً في غالب كتبه .

أقول : الكتاب -وهذه من الأشياء التي لا يدركها كثير من
طلاب العلم- أن شيخ الإسلام شرحه شرحاً وافياً في أماكن
متفرقة , فيأتي إلى لفظة من ألفاظ الإمام أحمد فيشرحها
شرحاً مطولاً وهي لفظة واحدة هذا الكتاب يعتبر مرجعاً كبيراً
لأهل السنة .

الكتاب الثاني : وهو كتاب " الرد على بشر المريسي "
للإمام الدارمي . أقول هذا الكتاب هو مرجع لأهل السنة ,
ويعتمدون عليه في إلقديم وفي الحديث لأن الإمام رحمه
الله جاء إلى قواعد أهل البدع ومسكها قاعدة قاعدة ورد
عليهم رداً قوياً , واختار أقوى الأدلة وهو يعطيك الزبدة ,
كتاب بشر المريسي وشبهات بشر المريسي هي عمدة أهل
البدع إلى يومنا هذا , فكتاب الدارمي هنا تدرك أهميته , وقد
أثنى عليه ابن القيم وشيخ الإسلام وأشاد به إشادة كبيرة
وكثير من العلماء .

بقي كتاب " التوحيد " لابن خزيمة وهو كتاب من أنفس الكتب , يذكر المسألة من كلامه بأسلوب واضح مفصل جميل على طريقة أهل السنة والجماعة ثم يستدل لهذه المسألة فما صح عنده من السنة , إلا أن الملاحظ عليه التكرار . فيستدل للمسألة الواحدة بأحاديث ويذكر لكل حديث طرق , فلو اختصر هذا الكتاب وقُرب , فبدل من أن يكون في مجلدين يمكن اختصاره في مائة صفحة , وقد عرضت هذا الاختصار على أخينا محقق الكتاب الدكتور عبد العزيز الشهوان , والعمل لا يكلف شيئاً , يأخذ كلام الإمام " ابن خزيمة " بحروفه ببقية , ثم يستدل له بأقوى حديث في الباب ويقتصر على طريق واحد , فتكون المسألة بدليلها , وأتصور أنه لن يعدو مائة صفحة بهذه الطريقة .

أيضا كتاب " الشريعة " للآجري فيه كثير من مسائل الاعتقاد بالأسانيد , وهو كتاب مهم ينبغي لطالب العلم العناية به . والكتب كثيرة جدا والوقت لا يسمح باستيعابها .

والآن مع كتب الفقه والفتاوى :
أولاً يبدأ طالب العلم بالمتون الصغيرة على طريق وجادة أهل العلم , " بآداب المشي إلى الصلاة " مثلاً للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب , ثم " عمدة الفقه " للإمام الموفق ابن قدامة , وهو كتاب نفيس يتسم بالوضوح والاختصار , ولأهميته شرحه ابن تيمية شيخ الإسلام شرحاً موسعاً , طبع بعضه , ثم ينتقل الطالب إلى ما بعد ذلك مما هو أوسع , وهو مخير بين أن يقرأ في " دليل الطالب " وهو أوسع من " العمدة " وهو أيضا كتاب واضح مرتب فيه جودة تصوير المسائل . شرحه التغلبي في كتاب أسماه " نيل المارب " وهو شرح متوسط فيه بيان علل الأحكام , وشرحه أيضا الشيخ إبراهيم بن ضويان في كتاب أسماه " منار السبيل في شرح الدليل " وهذا الكتاب له عناية بالدليل

, وخدم الكتاب بهذين الشرحين , وأيضا الكتاب له شروح مسموعة لجمع من أهل العلم . ومنار السبيل أيضا صار له حظوة عند أهل العلم بالشرح والتقريب , فخرج أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في " إرواء الغليل " وكملة الشيخ صالح بن عبدالعزيز , وأيضا أخونا الشيخ عبدالعزيز الطريفي له أيضا " تكميل لإرواء الغليل " في الآثار التي لم يقف عليها الشيخ ناصر رحمه الله , هذا الكتاب المخدم بهذه الطريقة , خرجت أحاديثه وعلق عليها , فهذه الطريقة انتشر الكتاب عند أهل هذه البلاد , وإن كان في وقت مضى وقبل خدمته هذه الخدمة المتكاملة كانت شهرته عند حنابلة الشام , أعني كتاب " الدليل " كانت شهرته عند حنابلة الشام , بينما الحنابلة في هذه البلاد يعنون بكتاب " زاد المستقنع " لشرف الدين الجحاوي , وهو مختصر من " المقنع " وهو أمتن متون الفقه الحنبلي وأجمعها مسائل على اختصاره الشديد وصغر حجمه , فعني به أهل العلم قراءة و إقراءً و شرحاً و درسا , له شروح وله أيضا أشرطة كثيرة سجل فيها لكثير من أهل العلم في هذه البلاد فلهم عناية بهذا الكتاب عناية فائقة , شرحه الشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي في كتابه " الروض المربع " وهذا الكتاب من أشهر الكتب التي تُقرأ في هذه البلاد , وعلى هذا الشرح حواشي للشيخ عبدالله أبابطين , وهي حاشية مطبوعة , وللشيخ عبدالله العنقري كذلك حاشية مطبوعة , وللشيخ عبدالرحمن بن قاسم حاشية اكتسحت الحواشي السابقة , فأدخلت فوائدها وزبدها فيها , وطبعت في سبعة مجلدات بعناية الشيخ عبدالله بن جبرين , " الزاد " عليه تعليقات منها " كلمات السداد " للشيخ فيصل بن مبارك , والشيخ محمد بن عبدالله الحسين آل أبا الخيل له حاشية وتعليقات على الزاد طبعها مع كتاب له سماه " الزوائد " جرد فيه زوائد " الإقناع " على الزاد , وكتب عليه حاشية وطبع الأربعة الزاد بحاشيته والزوائد بحاشيته , طبع في مجلد كبير باسم " الزوائد " . الشيخ صالح البليهي

أيضاً له حاشية نفيسة مهمة في الباب اسمها " السلسيل في معرفة الدليل " , عني الشيخ بالدليل رحمه الله تعالى عناية فائقة , وأيضاً عني ببيان حكمة التشريع . وبيان محاسن الشريعة وضرر العمل بالقوانين الوضعية , وحلاه باختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية , وابن القيم , والشيخ محمد بن عبدالوهاب , وأئمة الدعوة , والشيخ محمد بن إبراهيم , والشيخ ابن باز أيضاً فقد ذكر بعض اختياراته , وأيضاً ذكر بعض اختيارات - وإن كانت قليلة - شيخه الشيخ " صالح الخريصي " هذا شيخنا قرأنا عليه قديماً وشيخ للشيخ البليهي رحمه الله . إضافة إلى ذكر أقوال الأئمة الأربعة والظاهرية وغيرهم , فالكتاب أقرب ما يكون استدلال " للزاد " وبيان لمذاهب الأئمة الذين وافقوا المذهب وخالفوه .

وكوننا ننصح طالب العلم بقراءة هذه الكتب المختصرة والعناية بها , لا يعني أننا نظنها كتب معصومة من الخطأ , إذا ضربنا على سبيل المثال : " الزاد " الذي بين أيدينا فيه اثنتان وثلاثون مسألة خالف فيها المذهب , وخالف القول الراجح في مسائل . لكن لا يعني هذا أننا نجعل طالب العلم مربوط بهذه الكتب يعمل بها . لا نقول أن من حفظ " الزاد " وفهم " الزاد " صار حكماً على العباد , كما يقوله بعض المغرضين الذين يروجون للتهوين من شأن كتب الفقه لأنه ظهرت دعوة تتضمن التهوين من الفقهاء وكتب الفقه , والأخذ مباشرة من الكتاب والسنة . نقول : إن الأصل الكتاب والسنة , ونحن نتدين بما جاء في كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم , لكن هذه الكتب المختصرة تخرج عليها طالب العلم , بمعنى أنه يجعلها عناصر أو خطة بحث يأتي إلى هذا الكتاب فيأخذ مسأله . المسألة الأولى في هذا الكتاب يصور المسألة ويتصور المسألة تصويراً دقيقاً من خلال فهمه من قراءة على شيخ , أو نظر في شرح أو حاشية , أو سماع أشرطة , المقصود أن يتصور

هذه المسألة تصوراً دقيقاً , ثم بعد ذلك يستدل لصاحب الكتاب على هذه المسألة , ثم بعد ذلك ينظر من وافق من الأئمة صاحب الكتاب في هذه المسألة , ثم بعد ذلك ينظر من خالف , وينظر في دليله ويوازن إذا تاهل للموازنة , ويرجح إذا صار أهلاً للترجيح , وبهذا يخرج عالماً ولا أقول طالب علم . إذا أمكن قراءة كتاب كامل بهذه الطريقة , وقد تاهل لذلك بالإخلاص التام لله عز وجل فقصده بتعلمه نفع النفس , أولاً وأن يعبد الله جل وعلا على مراده , وأن ينفع الآخرين بهذه النية الصالحة , وجاء مع الجادة وسلك الطريق الذي ذكرناه , ومع ذلكم احترم أهل العلم وأدى ما يجب عليه تجاه النصوص من احترام , وجعلها هي النبراس الذي يُستضاء به , ومع ذلكم جُبِلَ وفُطِرَ على حافظة قوية تسعفه عند الحاجة , وفهم يسعفه لتصوير المسائل فسوف بإذن الله يسعه .

فالمقصود أن التفقه بهذه الطريقة يعين طالب العلم ويسر له الطريق , ولا يعني أننا ندعو إلى التقليد لا نحن ندعو إلى الاتباع , والأصل هو الدليل لكن الطالب في بداية الأمر كيف يقال له تفقه من الكتاب والسنة , فإذا أراد أن يتفقه في باب الصلاة مثلاً , وأراد أن يعمل بما في كتاب الله جل وعلا بما يتعلق بالصلاة كيف يعمل في الصلاة , فيه الأمر بالصلاة . أما تفصيل الصلاة في السنة . كيف يأخذ أحكام الصلاة من كتب السنة ؟ إذا بدأ بالبخاري يفنى عمره ولم ينته , ويأخذ عليه وقتاً طويلاً ولا يعرف كيف يصلي , لماذا ؟ لأن في صحيح مسلم أحكام زائدة على ما في صحيح البخاري فيما يتعلق بالصلاة , وفي سنن أبي داود ومتى يصل إلى سنن أبي داود , وفي سنن الترمذي , وفي مسند أحمد , وفي البيهقي أحاديث كثيرة , فالأولى أن يتفقه بهذه الطريقة التي ذكرنا سابقاً ويرجع للاستدلال لهذه المسائل , فهي بمثابة خطوط يمشي عليها , أو خطة يمشي عليها , فإذا تفقه بهذه الطريقة مع أن الأصل ولا يختلف أحد

في أن الأصل هو الكتاب والسنة ، يعني إذا قلنا على سبيل المثال لطالب العلم تفقه من الكتاب والسنة ، ثم قرأ في صحيح مسلم " باب الأمر بقتل الكلاب - هذه واقعة - خرج بمسدس وما رأى من كلب قتله ، والدرس الذي يليه في " باب نسخ الأمر بقتل الكلاب " ، بينما الفقهاء يجعلون المسألة في سطر، فيما يتعلق بهذه المسألة وأدلتها يبحث هو عنها في الكتب . المقصود أن مثل ما ذكرته ورددته مرارا في عدة مناسبات أن كتب الفقه ليست دساتير لا يحاد عنها ، إنما هي مجرد خِطَط بحث وعناصر يسير عليها طالب العلم ، وبهذا أدرك من أدرك . نعم وجد متعصبة في المذاهب ، ووجد متعصبة يرون أن قول المؤلف ملزم لا يجوز الخروج عنه . نعم وجد في سائر المذاهب متعصبة ، لكن التعصب هذا مذموم ، ووجد من يقول لا يجوز الخروج عن المذاهب الأربعة ولو خالفت الكتاب والسنة وقول الصحابي ، وجد من يقول هذا الكلام . وبالمقابل وُجد من يحرم النظر في هذه الكتب ، ودين الله وسط بين الغالي والجافي ، و خير الأمور أوساطها ، نستفيد من هذه الكتب . وألفها أئمة علماء أهل علم وعمل لكنها ليست دساتير ملزمة إنما هي بيان تبين لنا الطريق .

" الزاد " نظم من قبل الشيخ ابن عتيق ، والشيخ سليمان بن عطية ، فالشيخ سليمان بن عطية نظم " الزاد " بأرجوزة ماتعونة .

هناك مختصرات كثيرة مثل " مختصر الخرقى " ، وعني به الناس عناية كبيرة منذ القدم، و" أخصر المختصرات " وله شروح ، و" كافي المبتدى " ، وأيضا " التسهيل " ، وهناك مختصرات كثيرة لكن ما صدرنا به الكلام هي أهم هذه المختصرات .

الحلقة التاسعة عشر

إتصلنا بالهال هاتفي :
من الشيخ عبدالكريم التويجري .
الشيخ التويجري : أريد أن أتكلم في جانبين , الأول : بما
أن هذه الحلقات كلها حول مكتبة طالب العلم وكيف يبنها ,
وقد أجاد الشيخ وأفاد جزاه الله خيرا في هذا الجانب ,
حقيقة يلاحظ أن كثيرا من المنتسبين إلى العلم الحريصين
على متابعة الجديد في المكتبات كثير منهم ينحصرهم في
مجرد اقتناء الكتاب لذات الاقتناء , فيكون آخر عهده بالكتاب
حين ينظمه في أدراج مكتبته دون أن يكلف نفسه معرفة
شيء عن هذا الكتاب , وأظن أن هذا من الخلل في منهجية
الطلب , فأقل ما يترتب عليه أن الكتاب قد يوضع في غير
محلّه , وربما أيضا لم يستفد منه في مواضع لا يكاد يستغنى
عنه فيها , بل ربما لا توجد في غير هذا الكتاب , ونحن نتوجه
إلى الشيخ عبدالكريم بأن ينبه طالب العلم أن يهتم عند
إقتناؤه للكتاب بمعرفة موضوع الكتاب ومسائله التي تضمنها
, ويكون ذلك بالنظر في مقدمة الكتاب والفهارس التي
وضعها المؤلف أو وضعها المحقق , وإن قُدِّر له قراءة شيء
من مسائل الكتاب وفصوله فذلك غاية المرام , هذه مسألة

والجانب الآخر: وهي ملحوظة , وقد وردت في ثنايا كلام
الدكتور ناصر في مداخلته , وأيضا في كلام الشيخ
عبدالكريم , وهي أن كثير من كتب متقدمي السلف لهم
كتب هي أصول معتمدة عند من جاء بعدهم , " كالرد على
الجهمية " للإمام أحمد و" الحيدة " لعبدالعزیز الكناني وغيره
, ومتقدموا علماء هذه الأمة ينقلون عن هذه الكتب
ويعتمدونها , مطمئنين إلى صحة نسبتها إلى أصحابها , ولا
يشكون فيها لكن نبتت نابتة في أعقاب الزمن أصبحت ترفع
لواء التشكيك في هذه الكتب وفي نسبتها إلى أصحابها ,
ومما لا يخفى على الجميع أنه ينعكس سلبا على قيمة هذه

الكتب ومدى الثقة العلمية بها. وحقيقة نريد من الشيخ
عبدالكريم تـــــــوجيه .

السائل : لماذا قلت يا شيخ ينعكس سلبا ؟ لماذا لا يكون
فيه فتح مجال أيضا للتحقيق والبحث , وليست النابتة
متأخرة في بعض الكتب , فمثلا " الحيدة " بعض المتقدمين
من العلماء أشار إلى التشكيك فيه , هل فيه ما يضير؟

الشيخ التويجري : عفوا البحث شيء , والتشكيك شيء
آخر .

السائل : عفوا أنا أقصد أنه ليس كل من شكك في نسبة
كتاب أن نقول ان القضية خطيرة , فكتاب " الحيدة " شكك
فيه بعض علماء الأمة القدامى .

الشيخ التويجري : الأمر لا يخلو من حالين إما حال نظر
في واقع الكتاب للثبوت منه فهذا أمر , وأنا أريد من فضيلة
الشيخ أن يتحفنا في هذا الجانب والأمر معلوم أن هناك
شيء علم بالاستفاضة وتواتر بالاستفاضة , وهناك شيء لا
يحتاج إلى الإسناد المتصل .

الشيخ الخضير : جزى الله الشيخ عبدالكريم التويجري
خير الجزاء على التنبيه الطيب . أما بالنسبة لإفادة طالب
العلم من كتبه التي يقتنيها , فهذه من إفرازات كثرة
التصانيف والطباعة والكتب التي تزف بها المطابع بكثرة
بالمئات بل بالألوف , تجعل طالب العلم لا يتمكن من تصفح
بعض الكتب لا سيما المكثرة من الجمع . لكن الفائدة من
الكتب هي المطالعة فيها وإلا فمجرد جمع الكتب ليس بمزية
, فقد وجد من غير المسلمين من يجمع من كتب المسلمين
أضعاف ما عند المسلمين , هل يعني هذا أن جمع الكتب
بحد ذاته لا يعدو أن يكون هواية مثل الهوايات , وسبق أن
تحدثنا عنه , وسبق أيضا أن تحدثنا عن كيفية الإفادة من هذه
الكتب , ولقد أدركنا شيوخنا ومكثباتهم كلها مقروءة ومعلق
على كتبهم , ويأتي الآن تركات عن بعض العلماء لا تخلو

صفحة من تعليق . وإلا كيف نسميه عالم وهو ما قرأ .

السائل : بعض الكتب يا شيخ خرجت من هذه التعليقات , فتعليقات على كتب أخرجوا منها كتب وحواشي .
الشيخ : نعم , حواشي تفسير البيضاوي وهي أكثر من 120 حاشية كلها تعليقات على تفسير البيضاوي , وكذلك تعليقات الشيخ أبابطين على " المروض " وتعليقات الشيخ العنقري , وتعليقات ابن قاسم هذه حواشي أفرزتها القراءة , وشيوخنا الذين أدركناهم لا يخلو كتاب عندهم بل لا تكاد تخلو صفحة من تعليق , من لمسة من هذا العالم .

السائل : الاختيارات الفقهية لابن تيمية رحمه الله الذي أخرج الكتاب وحققه متأخرا وإن كان عليه بعض الملاحظات , لكن أفاد من تعليقات وتهميشات الشيخ ابن عثيمين رحمه الله الموجود على نسخة الكتاب .

الشيخ : نعم , المقصود أن الإفادة من الكتب هي الغاية من الاقتناء وسبق أن أشرنا إلى أن كثرة التصانيف مشغلة عن التحصيل في كلام ابن خلدون وأفضنا في هذا .

أما بالنسبة للتشكيك في الكتب فبعض الناس لا أقول من سوء قصد , لا بل قد يكون بحسن قصد يشكك في الكتاب الذي لا يطمئن إلى إسناده الذي وصله فيه فيبحث عن إسناده " الحيدة " فلا يجد , إلا في طريقة فلان أو علان أو انقطاع . لكن إذا نظرنا في واقع الكتاب وأنه على الجادة وعلى معتقد أهل السنة والجماعة فلا يضيرنا أن يشكك فيه , يهمننا العلم نعم إذا ثبتت نسبته إلى هذا العالم فيها ونعمت , وإذا لم تثبت فالعلم في حد ذاته مطلوب .

الشيخ : أما بالنسبة للتشكيك في الكتب فالحافظ الذهبي رحمه الله أسهم في هذا الباب فشكك في بعض الكتب , ولكن لا يعني هذا أننا نقلد الذهبي في هذا , أولاً الأنساب تكفي فيها الاستفاضة , ونسبة الكتب مثل الأنساب .

السائل : الحيدة يا شيخ فيها مواضع لا يمكن أن يقول بها الكنعاني وهو من علماء السلف .
الشيخ : أنا أقول النظر ينبغي أن يكون في واقع الكتاب قبل البحث في سنده . إذا رأينا أن الكتاب متماثل وليس عليه ملاحظات , وإلا إذا وجد فيه ملاحظات تخالف ما يعتقده المؤلف يطعن فيه من هذه الحثية , والظعن في المتن معروف عند أهل الحديث أعظم من الطعن في السند .

السائل : يعني مثل كتاب الحيدة لماذا لا نقول إن أصل المناظرة ثابتة عن الإمام الكنعاني لكن الناس حضروا وبعضهم نقل وبعضهم كتب وأسهم وأدخل في الكتاب أخطاء كثيرة , فبالتالي لا نصل إلى هذه الدرجة من أن كل تشكيك في كتاب ممكن أن يصل إلى هذا الحد الذي ذكره الشيخ .

الشيخ : أما بالنسبة لوضع الكتب فهو موجود , وانتحال الكتب موجود , لكن كتب الأئمة ولله الحمد محفوظة بحفظ الدين ويكفي أن يستفيض أن هذا الكتاب للإمام أحمد وماشي وجاري على قواعد الإمام أحمد ثم بعد ذلك لا يلزم أن نسأل عن سنده إلا على قول من يقول وهو ابن خير الإشبيلي وقوله منقوض عند أهل العلم . قال : إنه لا يجوز لك أن تنقل ولا تحتج ولا تستفيد ولا تروي من كتاب ليست لك به رواية

قلت ولا بن خير امتناع نقل سوى مرويه إجماع

ونقل الإجماع على ذلك , ونقل " ابن برهان " الإجماع على خلافه , فينبغي أن نعرف أن هذا الكتاب استفاض عند أهل العلم الموثوقين , ونقلوا منه ونسبوه إلى مؤلفه فهذا يكفي , مثل " الرد على الجهمية والزندقة " للإمام أحمد .